جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
تواتي حمادة **محمد بن قريرة**

يوم:10/09/2020

الرمزية في شعر أبي العلاء المعري

لجنة المناقشة:

لعلى سعادة	أ. د.	جامعة محمد خيضر يسكرة	رئيس
صالح مفقودة	أ. د.	جامعة محمد خيضر يسكرة	مقرر
قايمة بوضياف	أ. د.	جامعة محمد خيضر يسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــر

الحمد لله الذي هيأ لنا الاسباب لإتمام هذا البحث صاحب الفضل كله

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور صالح مفقودة، الذي كان لنا الشرف العظيم أن رحب بالإشراف على رسالتنا، والذي لم يضيق علينا دائرة البحث .

والشكر موصول للاستاذ سليم كرام الذي وجهنا لإختيار هذا الموضوع الذي جعلنا نتعمق في دراسة هذه الشخصية التي يجهل المتعلمون عنها الكثير.

كما لا ننسى أهل الفضل ممن أسهموا في تقديم النصح والتوجيه وإلى كل من درسنا الذين تعهدونا بالإحترام والتقدير، طيلة سنوات الدراسة بالجامعة. كما لا يفوتنا ان نتقدم بالشكر الى من كابد مشاق تنسيق هذا البحث على جهاز الإعلام الآلي الأنسة نورة بن قريرة .

إهـــداء

تواتي حمادة

الى : الوالدين الكريمين

الزوجة الكريمة والأبناء ❁ أحمد ❁ رحاب ❁ سندس مروة ❁

بن قريرة محمد

الى : الوالدين الكريمين

الزوجة الكريمة والأبناء

الاخوة والأخوات

الى زملائي في العمل

الى مديري الذين منحاني فرصة اتمام دراساتي العليا

❁ الاستاذ بوزرقون عز الدين ❁

والأستاذ بخوش توفيق ❁

مـــــلخص

Abstract

Every beginning has an end, on this station where researchers landing and showing the most important results that they have reached from their journey with Abi Al-Alaa Al-Maari, searching for covering his poems with symbols. The Divan of Sakat Al-Zanad and Louzoumiat revealed two basic stages from Abi Al-Alaa Al-Maari's life. The Divan of Sakat Al-Zanad represented the poet's life and his inspiration with AL- Motanabi and Abi-Tamam's works where he gathered all the highlighted characteristics of their poems. Concerning his Divan if Al-Deriat, the critics made it as a supplement for Sakat Al-Zanad that it comprises a lot of symbols and ambiguity. This Divan included the life of Abi Al-Alaa the thinker, the critic, and the philosopher which is directed to criticize the social life. Even the poet was isolated from people and blind, but he has a sighted heart that enables him to show people's hidden disadvantages and to perform the truth of their motives. Al-Maari addressed many issues (politics and social) with a critical, philosophical, and mocking way, this opened door to accusing violence of many issues on his Lozomiat. The poet rejected the idea of marriage for the pain and the ingratitude rewards for the woman; also, he draw a nice picture for those who stayed home and characterised with chaste ethics. On the other hand, he has revealed woman's rights such as not to hurt her and the equivalent age

between her and her partner. Al-Maari faced many obstacles, he was not saved from expiation and atheism caused by The Successors of Beni Abbas who chase all who did not follow them, and their Allies from lost scientists in their Sultans' whims who wanted the property without going deep to the poets' think who lived for humanity. The poet tried to include feelings to cover his blind, he mentioned some symbolic feelings which realized by vision. All those things denote his deal of information, strong memory, and sense of hearing that compensated all the other sense. Most of his poems were modern, original and full of symbols which are emitted for his large imagination and culture that have been presented with some ambiguity and common annunciation where he was the only one who used symbols –where the others were hidden because of Sultans' violence-. Also, he went deep to produce artistic, modern, creative, concise, and beautiful verses. Most of the natural historical symbols indicate the state of stalking, anxiety, lack of reassurance, stability, sadness, and pessimism that accompanied Al- Maari' psyche. Finally, the researchers advise all the Maari's researchers to go deep on his thinking and look for the deep meanings that he addressed. This man deserved the medal of wisdom and philosophy.

Keywords: Divan, louzoumiat, poem, philosophy, verse

ملـخص:

إهتم أهل الأدب بتوظيف الرمز في نتاجهم حتى صار مذهبا ومدرسة بل أصبح لسان التعبير عند البعض منهم وذلك لغايات جمالية، سياسية، وأخرى دينية

وأبو العلاء المعري يعد واحدا من أولئك الذين أثروا خزانة الأدب بهذا اللون وبالغ في استعماله حتى طغا الغموض على نتاجه الأدبي شعرا ونثرا مستثمرا أدوات الرمز الأسطورية الأدبية، التاريخية، الطبيعية عبّر فيها عن آرائه الفكرية ناقدا وشاعرا وفيلسوفا، ومنجما يحاول أن يثبت فيها أصول اللغة العربية ويضع معاجما للغة والتاريخ والأدب، تمظهرت في دواوينه الشعرية تناول الباحثان منها سقط الزند، الدرعيات و اللزوميات حيث يعد ديوانه الأول محاكاة لنتاج المتنبي أما الأخير فيقف فيه موقف الناقد والمصلح الإجتماعي ؛عرض فيه عدة قضايا اتسمت بالحكمة والفلسفة متحديا أقرانه من شعراء وأدباء عصره بل يحاول أن يتبوأ مكانة أعلى عن الأسوياء، كما كان توظيف هذه الرموز إسقاطا لحالة اليأس والتشاؤم والتذمر التي تؤرقه وحالة المطارة التي يعيشها .

استغل أعداء المعري غموض شعره ؛ ففتحوا عليه عاصفة من الإتهامات الباطلة كالكفر، الإلحاد ، الزندقة وعداء المرأة وغيرها ، والتي انجر خلفها العديد من أهل الأدب.

مقدمـــــــــة

مقدمـــــــــة:

يعد الرمز إحدى الخصائص الفنية للبناء الشعري، والتي لا تتأتى للجميع لخصوصياته الجمالية التي تعكس القدرة الفنية الفائقة في استخدام الخيال في النظم، إذ غالبا ما تتميز قصيدة عن غيرها بسحر جماليتها مثلها مثل بناء معماري منه ما يسحر الألباب لروعته وهندسته، ومنه ما يبقى مجرد بناء صالح للسكن؛ والمقصود بذلك الصياغة الأسلوبية التي تتهيكل في إطارها النصوص الشعرية، إذ أن الشعر قبل كل شيء رقي وارتقاء باللغة من لغة الواقع إلى عوالم الدلالات اللامتناهية والتأويلات التي تخترق حدود اللامنطق.

وعليه فقد شاع استعمال الرمز منذ القدم وتجلى ذلك في أعمال اليونان والإغريق، وقد استعمله العرب على شكل الكناية والمجاز ليدل بها على معنى خفي يكمن وراء الألفاظ، والرمز من الظواهر الفنية البارزة في الشعر، حيث أثبت الشعراء من ورائه قدرتهم على تقويل اللغة ما لم تقله، ويعد العصر العباسي الأرض الخصبة التي نمت في ظلها الصنعة والرمز لغايات سياسية واجتماعية وأدبية ، كما أدى تطور هذه الظاهرة إلى نشأة المدرسة الرمزية الأوربية بفرنسا التي كان لها التأثير الكبير في أعمال الشعراء العرب المحدثين خاصة.

وأبو العلاء المعري أحد رواد العصر العباسي و الذي استخدم الرمز بكثافة وبوعي ومقصد، حتى طغى على شعره هذا اللون حيث جمع حصيلة كبيرة من الرموز المختلفة. والبحث في شعر أبي العلاء يعد قريبا من المجازفة والمخاطرة لما اكتسحه من رموز مختلفة جعلت جهابذة النقاد يختلفون في توحيد دلالات بعض مقاصده، التي جرت عليه العديد من الإتهامات الباطلة، ما جعل شعره قبلة للدارسين تصدرهم بعض تلاميذه بشروح لدواوينه أمثال محمد بن عبد الله الأصبهاني والتبريزي (ت 502)هـ، وابن سيد البطليوسي (ت521)هـ والخوازمي وغيرهم ممن ذكروا في مقدمات الديوانين إضافة إلى من كانت لهم

إسهامات في العصر الحديث أمثال طه حسين وعباس محمود العقاد وشوقي ضيف وغيرهم.

ولا يمكن لأي شخصية أدبية أن تستقطب اهتمام كبار الدارسين بالدراسة، لو لم تكن لها مميزاتها الخاصة التي حضيت أعمالها بالخلود، ماجذبنا إلى تناول هذه الظاهرة الأدبية عند هذه الشخصية الهامة في دوانيه الشعريين (سقط الزند واللزوميات) من أجل الوقوف على أهم الإجابات للإشكالية التي تفرض نفسها: مامدى توظيف ابو العلاء المعري للرمز؟ وماهي الأسباب التي دفعته لإستعمال الرمز وهو الذي لايسعى وراء مدح ولا يخشى عواقب قولة حق؟

وللإجابة على هذه اللإشكالية، وضع الباحثان خطة بحث، تصدرت دراسة الموضوع مقدمة وانقسم الطرح إلى فصلين؛ فصل نظري ضم تمهيدا ثم التعريف بالرمز لغة واصطلاحا ثم تتبع هذا اللون الأدبي عبر العصور عند العرب والغرب، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا انقسم بدوره إلى مبحثين تطرق فيهما الباحثان إلى دراسة مختلف الرموز العامة والخاصة والتي سيتم ذكرها ضمن الصفحة الخاصة بخطة البحث؛ ثم ذيلت الدراسة بخاتمة جمعت معظم النتائج التي يعتقد فيها الباحثان أنهما قاربا الصواب، من خلال المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمداه للدراسة والذي يرياه الأنسب لمثل هذه الدراسة .

وأما عن أهم المصادر والمراجع التي إستند إليها الباحثان لإثراء البحث فهي: ديوان سقط الزند ــ ديوان اللزوميات ــ شروح السقط واللزوميات ـ مع أبي العلاء في سجنه ـ حياة الحيوان الكبرى ـ التاريخ العربي القديم ـ إشارات رموز وأساطير.

غير أن الحدث الذي عاشه العالم أجمع وهو إجتياح فيروس كورونا لبلدنا الحبيب كان من بين العراقيل التي حالت دون تكثيف اللقاءات بين الباحثين من جهة وبينهما

والأستاذ المشرف من جهة ثانية، كما كان هذا السبب عائقا لإقتناء المراجع الورقية؛ ما جعل الباحثين يعتمدان في أغلب الحالات على النسخ الإلكترونية بصيغة pdf، كما تعد الدراسة لهذه الشخصية من الموضوعات الصعبة التي يمكن الخوض فيها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا البحث نشكر أستاذنا المشرف الدكتور صالح مفقودة الذي بسط لنا مخاوفنا من صعوبة الموضوع ومهد لنا الطريق حتى إنتهاء هذه الرحلة، والشكر موصولا الأستاذ الفاظل عبد القادر رحيم الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته، دون أن ننسى أهل الفضل، الأستاذ سليم كرام الذي منحنا شرف هذا الموضوع و إلى لجنة المناقشة الأولية التي أسهمت في تحديد أهم المحاور التي يرتكز عليها البحث ـ الأستاذة سامية بوعجاجة، الأستاذ أبو القاسم رفرافي وإلى الأستاذ سليم كرام تحت إشراف الأستاذ لخضر فورار ـ وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إثـراء هـذا البحـث المتواضـع بالمعلومـات والحمـد لله رب العـالمين .

خـــــــطة البحث

مقدمـــــة

I. الفصل الأول (النظري)

تمهـــــيد

1. تعريف الرمز
   أ. تعريفه لغة
   ب. تعريفه إصطلاحا
2. تجليات الرمز في الأدب عبر العصور
   أ. في العصر الجاهلي
   ب. في صدر الاسلام
   ج. في العصر الأموي
   د. الرمز في العصر العباسي
   هـ. في العصر الأندلسي
3. الرمز عند الـــــــــــــــغرب
4. توظيف أبي العلاء للرمـــــــــز

II. الفصل الثاني (التطبيقي)

1. الرموز العامـــــــــــــة
   أ. الرموز الأسطورية
      أ. الرموز الأسطورية الحيوانية
      ب. الرمزية الأسطورية للناقة
      ج. الرمزية الأسطورية للخيل
      د. الرمزية الأسطورية للثور الوحشي
      هـ. الرمزية الأسطورية لحمام

ب. الرموز الصوفية

أ. قضية الحلول والإتحاد

ب. رمزية الخمـــــــــرة

ج. قضية تناسخ الأرواح

د. بعض القضايا المختلفة (الروح ، المراتب ،الطير ،الغزال ، الناقة)

ج. الرموز الطبيعية

أ. الرموز الطبيعية الحيوانية

- رمزية الكلب
- رمزية الوحوش المفترسة

ب. رمزية الطيـــــــــــور

- رمزية الغراب
- رمزية القطا
- رمزية النعام
- رمزيةالطيور الجارحة (البازي،الصقر، النسر،العقاب)

ج. الرموز الطبيعية المختلفة

- رمزية الريح
- رمزية الماء والسراب

د. رمزية الكواكب والنجوم:

- رمزية الشمس
- رمزية القمر
- رمزية النجم سهيل

د. الرموز الأدبية

هـ. الرموز التاريخية

و. الرموز الدينية

2. الرموز الخاصـــــة

أ. رمزية الحزن

ب. رمزية التشاؤم

ج. رمزية الموت والحياة

د. رمزية المرأة

خاتمـــــــــة

الـــــفصل الأول

الفصل النظري

تمهيـــــد:

ظهرت بوادر النظريات و الدراسات التي تبحث في جماليات الشعر و فنيته مع أرسطو في كتابه فن الشعر، حيث أن الشعر عنده صنعة و فن و محاكاة إذ يقول إن الشاعر يجب أن يكون صانع حكايات و خرافات أكثر منه صانع أشعار[1]، و ذلك من خلال أن يصوغ من الخيال اللامنطق.

و قد حظي الشعر عند العرب بالمكانة العظمى ما جعل البحث عن فنية هذا الشعر تخضع لميزان الذوق، و لكن مع تفجر الدراسات حول إعجاز القرآن اِتسعت دائرة البحث في جماليات الشعر العربي و فنيته و تعددت المفاهيم و النظريات حول الغموض البساطة، التعقيد، الصنعة، الطبع و الشعرية– الصناعة، و التي اقترنت عند بعض المنظرين أمثال عبد القادر الجرجاني (ت 417 هـ). في تأسيسه لنظرية النظم بمدى فاعلية المجاز (إستعارة_ كناية) في القدرة على إبداع جمالية في العمل الأدبي إذ يقول: (الكلام على ضربين ضرب أنت تصل فيه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... و ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، و مدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة و التمثيل[2] ما أضفى على الشعر العربي بعض الغموض الذي عده بعض النقاد عيبا من عيوب الشعر. غير أنه في المقابل فإن الغموض و الإلتباس و تعدد المدلولات هي سمات و فسحة للشاعر بأن يتخطى ضدود كل لجام يترصده فيبيح الشاعر لنفسه أن يتخطى الحدود الإجتماعية و السياسية و يخرق جدار الصمت و يمرر رسالته الشعرية عبر طريق الإلحاح و الترميز و يضفي على أعمالها الإبداعية صورة فنية و جمالية راقية غير أن هذا

---

[1] – ارسطو طاليس فن الشعر،تر ،عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة،بيروت لبنان (د ط)1973 ص 28

[2] – عبد القاهر الجرجاني دلائل الاعجاز في علم المعاني ،تح، السيد محمد رشيد رضا دار المعارف ، بيروت ، لبنان ط 3،2001،ص202

الأسلوب لم يحظ بهذا المصطلح الموسوم بالرمز إلا حديثا رغم أن الشعر العربي كان حافلا بهذه السمة في مضامينه مما يحتم علينا الوقوف على أبرز المفاهيم و المصطلحات التي قام عليها هذا المصطلح.

قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.﴾"[1]

و قال الرصافي:

ترجم طرفي عن لساني لتعلمـــوا ويبدوا لكم ما كان صدري يكتم

و لما التقينا و الدموع سواجـــم خرست و طرفي بالهوى يتكلم

تشير لنا عما تقول بطرفـــــها و أومئ اليهـا بالبيان فتفهم

إن الوجوه صحائف مطموســـــة يمحو كتـــابتها ويثبتها الدم

بينـــاك تقرأ حفرها متفهمـــــا يبدو تحرفها فلا تتفهـــــم

إني أرى هذي الوجوه نواطـــــقا بالسر لـكن نطقهن مجمجم[2]

[1] – سورة ال عمران الاية 41

[2] – معروف الرصافي الديوان مراجعة مصطفى الغلاييني نشرمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2014م القاهرة مصر ص270

1.تعريـــف الرمز:

أ. تعريفه لغة:

جاء في لسان العرب " الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، و الرمز إشارة وإماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم، و الرمز كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين[1] ".

و جاء في المعجم الأدبي أن الرمز " كل إشارة أو علامة محسوسة بشئ غير حاضر، من ذلك العلم رمز الوطن، الكلب رمز الوفاء، الحمامة البيضاء رمزا البراءة، والهلال رمز الاسلام، االصليب رمز المسيحية، والأرز رمز لبنان.[2]

لو ذكر الزمخشري في كتابه أساس البلاغة في باب الراء "رمز إليه، و كلمه رمزا بشفتيه و حاجبيه، و يقال جارية غمازة، و ضربته خر يرتمز للموت"[3].

أما عند الغرب فإن الاشتقاق اللغوي لمفهوم الرمز يرتبط بحقول معرفية مختلفة تجسدت لدى اليونان في مفهوم الغموض و الإبهام الذي يعود إلى أصل الكلمة المأخوذة من (sumbolein) التي تعني الحرز و التقدير و هي مؤلفة من (sum) بمعنى (مع) و (bolein) بمعنى حرز[4].

ب. تعريف الرمز اصطلاحا:

---

[1] – ابن منصور لسان العرب ج6 دار صادر ص222– 223

[2] –– جبور عبد النور المعجم الأدبي دار العالم للملايين بيروت لبنان ط ع 1973مص 183

[3]– الزمخشي ابي القاسم جار الله محمود بن عمر، اساس البلاغة ج1 باب الراء ، تح محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنانط1 1998م ص385.

[4]– محمد فتوح احمد الرمز والرمزيه في الشعر المعاصر دار المعارف مصر ط 1977 ص34

اختلفت وجهات النظر حول تحديد مفهوم الرمز و قد انقسم المنشغلون بدراسة الأدب حول تحديد مفهوم الرمز فمنهم من رآه من زاوية المجازية و هم علماء العرب القدامى و قسم آخر ينظر إليه من وجهة نظر شعرية جمالية و هم الأدباء النقاد المحدثون.

و مثال ذلك ما ورد على لسان ابن وهب في تعريفه للرمز على أنه " ما أخفي من كلام و أصله الصوت الخفي الذي لا يفهم و إنما يستعمل المتكلم الرمز فيما يريد طيه عن كافة الناس و الإصغاء به إلى بعضهم[1]".

و يقول قدامى بن جعفر عن الرمز " أنه اصطلاح بين المتكلم و بعض الناس"[2].

و يقول القشيري عن الصوفية أنهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، و الإخفاء و الستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب "[3] .

من خلال ما سلف بيانه على ألسنة القدامى فإن تعريف الرمز يتجلى في الإيماء و التلويح بالكلام.

[1]– محمد بعين شعرية الخطاب الصوفي الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذج منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط (د ط)2003 ص122 جماليات الرمز في ديوان عزف منفرد

[2]–المرجع نفسه ص123

[3]– دريش الجنيدي الرمزية في الادب العربي / دار النهضة للطباعة والنشر /مصر القاهرة ط2 1982 ص 44

2.تجليات الرمز في الأدب العربي عبر العصور:

يميل العربي في بعض المواقف إلى إخفاء ما يريد الإفصاح عنه لبعض خاصته فيمرر رسالته مبثوثة بين السطور معتمة بالغموض و الإبهام و ذ لك بالرمز و الإيحاء، في هذه الأرض الخصبة وجد الشعراء ضالتهم إذ يرى بعضهم في استعمال الرمز السبيل لإيصال رسالته إلى المتلقي و ينفس عن صدرته تلك المشاعر المتأججة، و يسلم من شر مستطير يترصده (الأعداء_ السلطان_ المجتمع)، ومنهم من يرى فيها السحر و البيان (الشعرية) و بلوغ الإتقان الفني و القدرة على التوصيل و التأثير، فمالوا إلى توظيفه في أشعارهم مما استوقفنا أن نقتفي أثر توظيف الرمز في الشعر العربي عبر العصور و نثري بها معلوماتنا عبر هذا البحث المتواضع.

أ. <u>الرمز في العصر الجاهلي</u>:

من الأدباء و النقاد المحدثين أمثال إيليا حاوي من ينفي وجود الرمز في العصر الجاهلي[1] باعتبار أن الشاعر الجاهلي يفتقد للخيال الواسع و يعبر عن تجربته الواقعية، كذلك افتقاد العربي الجاهلي للعنصر الأسطوري (الغيبي الخارق) الذي يوجه المصائر و يتحكم فيها بل كان الجاهلي يعمد إلى ذاته في قوته البدنية أو من خلال الفرس و الناقة الذي يقتحم بهما وعورة الطبيعة[2] .

و يرى آخرون نقيض هذا الرأي و يستدلون بلغة الكهان في الجاهلية حيث تعتمد على المرابة و الرمز و الإبهام و الاستغلاق و الجلجلة و التهويل و الإغراب حتى يتحقق

---

[1]– نقلا عن سارة لجر ساير العتيبي الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث ص13 ، حسين عطوان مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ص 179 .

[2] – جلال عبدالله خلف جامعة ديالي/ مجلة القانون والعلوم السياسية الرمز في الشعر العربي مجلة ديالي العدد 52(2011) ص5

عنصر التأثير في المتلقين الذين يريدون كشف الأسرار و فتح الحجب ، كما ذهب بعض أنصار هذا الرأي (الدكتور نجيب البهبيي) إلى القول بان جميع أنواع الغزل الذي كان الشاعر الجاهلي يقدم به قصائده من باب الرمز، و عنده أن الشاعر لا يقصد بهذا الغزل إلى موضوعه، و إنما يقصد به إلى غير ذلك مما يهم أمره ، و يأخذ عليه نفس ، فالمرأة في ذلك رمز و أسماء النساء أسماء تقليدية تجري في الشعر عند الشعراء دون وقوعها على صاحباتها[1] .

و لعل هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب يدعمه في ذلك قول علي الجندي[*] :" أما الرمزية بالمفهوم العربي فقد نبعت أولا من الأدب الجاهلي و استعارت ألوانها من طبيعة العقلية العربية الأصيلة من مظاهر الحياة الجاهلية الخالصة و نحن نعلم أن الرمزية العربية تعتمد على هذين الركنين، الإيجاز و غير المباشرة[2] و هذا ما نلحظه في القصيدة العربية القديمة من حيث بناؤها إذ لا تكاد تخرج عن نمطها المعهود و ذلك لما تتضمنه هذه الرموز التي وظفها الشعراء فهذه الطلول عبارة آثار و حجارة صماء لا تعني شيئا بذاتها و لكنها تعني الكثير للشاعر و ترمز لصباه و ذكرياته و لقائه بالحبيب، و هذه الناقة التي تدل على حله و ترحاله و كنزه و مهر عروسه. و هذه الفرس التي ترمز إلى بطولته و فروسيته و هذه المرأة الرمز التي غزت القصيدة

---

[1]– المرجع نفسه، ص

[*]– تعريف علي الجندي : علي محمد الجندي 7 – 1928) أغسطس 2009) شاعر سوري. ولد في سلمية ونشأ ودرس بها ثم ب في دمشق، حيث تخرّج بشهادة الإجازة في الفلسفة في جامعة دمشق عام 1956، عمل في الصحافة في دمشق وبيروت، ثم مديرًا للدعاية والأنباء في دمشق، هو أحد الأعضاء المؤسّسين لاتحاد الكتاب العرب في عام 1962 ونائباً للرئيس منذ سنة 1969. يعدّ من روّاد حركة تجديد القصيدة العربية في سوريا منذ مطلع الستينات. لقّب *بالشاعر الظريف*، لضحكه باستمرار. توفي في اللاذقية ودفن بمسقط رأسه. له دواوين شعرية عديدة ومؤلفات ودراسات أدبية.

[2]– نقلا عن بهجت عبد الغفور الحديثي دراسات نقدية في الشعر العربي الحديث المكتب الجامعي الاسكندرية مصر ص 41

العربية و تصدرتها كمعادل موضوعي يجسد من خلالها الشاعر العربي مظمرا في نفسه يطلبه.

فهذا عنترة العبسي يتغنى بعبلة فحسب الدراسات السيميائية أن عبلة رمزا ينشده من أجل ان يتبوأ مكانة بين الأسياد، و الأشراف، و هو قد فرض حريته و أثبت بطولته و فروسيته أليس بقادر على أن يأخذ عبلة غصبا؟، و كيف نطلب البرهان على الغرض المنشود و الحقيقة جلية للعيان، أما كانت العرب قديما تسمي أبناءها، خيولها، نوقها ، سيوفها بأسماء تحمل كلها رموزا و صفات، أمثال ذلك ما وصف به الشعراء الصعاليك ، بالذئبان، الغرابيب السود، و قد كان الشعر الجاهلي ثريا و حافلا بالرموز كمثل قول إمرئ القيس:

و ليل كموج البحر أرخى سدولـــــه علي بأنواع الهموم ليبـتلي

فقلت له لما تمطى بصلبـــــــــــــ و أردف إعجازا و ناء بكلكل[1]

و قد ورد في كتب الأدب عن شاعر من بني العنبر كان قد وقع أسيرا لدى قبيلة بني تميم فأرسل أبياتا إلى قبيلته يحذرهم و ينصحهم في قوله:

خلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم و البازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئاب قد أخضرت براثنـها و الناس كلهم بكرا إذا شبعـــــــــوا[2]

---

[1]– حندج بن حجر (إمرئ القبس) الديوان ظبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي منشوات علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان

ط 5 /1425هـ--2004م ص118

[2]– ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي، كتاب الأمالي، ج 1، الهيئة المصرية للكتاب، 1985 ص 28

فرمز الشاعر بالناقة الحمراء إلى الفلاة و البازل الأصهب المعقول الجبل و الذئاب هم اللأعداء.

و كذلك ما ورد في قصيدة زهير بن أبي سلمى التي مطلعها أمن "أم أدمنة لم تكلم" في قوله:

بها العين و الآرام يمشين خلفـــة و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم [1]

فهذا البيت يحمل من الرمزية و الإيجاز ما يطوي فيه زهير ما نقشته الأيام في ذاكرته بعد عشرين سنة فربط الضباء البيض ذات العيون الواسعة بحبيبته و كيف لهذه الضباء و البقر أصبح يخلف بعضه بعض في الغدو و الرواح على هذا الطلل الذي أصبح رتعا خصبا لها دليل على الأمن و السلام و رمز لما كان قبل ذلك من حرب بين عبس و ذبيان.

و يقول عنترة في قصيدته التي مطلعها "سلي يا عبلة الجبلين عنا"

خلقت من الجبال أشد قلـــــبا تفنى الجبـــــال و لست أفنى

أنا الحصن المشـــيد لآل عبس إذا ما شـادت الأبطـــال حصنا

شبيه الليل لوني غير أننـــــي بفعلي من بياض الصبح أسني[2]

و في مراثي الخنساء أخاها صخرا تعج بالرمز كمثل قصيدتها يا صخر في قولها :

كنـــا كأنجم الليل وسطـــها قمر

---

[1]– زهير بن ابي سلمى الديوان شرح وتقديم علي فاعور دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/1408هـ–1988م ص103

[2]– يحي بن علي التبريزي، شعراؤنا، شرح ديوان عنترة، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1413،1هـ–1993م ص194

يجــلو الدجى فهو من بينـــــــنـا القمر

يـــا صخر! مـــــا كنت بقوم أسر بهم

إلا و إنك من بين الـــــــــــقوم مشتهر

فاذهب حميدا على ما كـــــان من حرث

فقد سلكت سبـــــــــيلا فيه مـــــــعتبر[1]

ب. الرمز في العصر الإسلامي

جاء القرآن الكريم متحديا العرب لفصاحتهم في أن يأتوا بسورة من مثله ؛ و قد قال الله تعالى :﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُون﴾[2].

لقد تحداهم بأسلوبه المعجز في آياته المتضمنة للرمز كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [3].

و قال أيضا: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ "[4]

و شعر حسان بن ثابت في رسول الله صلى الله عليه و سلم ثري بالرموز كقوله:

---

[1]– تماضر بنت عمرو(الخنساء) الديوان ،عناية وشرح حمدو طماس دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط 2 1425 هـ – 2004 م ص63

[2]– سورة الانعام الاية 38

[3]– سورة الأحواب الأية 33

[4] ـ سورة يوسف الأية 43

و نشربها فتتركنـــــا ملوكا و أسدا ما ينهنهنا اللـــــقاء

عدمنا خيـــلنا إن لم تروها تثير النقع، هو موعدها كداء

يبارين الأعنة مصعدات علـــــى أكتافها الأسل الظمـــــــاء

ألا أبلغ أبا سفيـــــــــان عني فأنت مجوف نخب هـــــواء

بأن سيـــــــــوفنا تركتك عبدا و عبد الدار سادتها اللإماء

لساني صـــــــارم لا عيب فيه و بحري لا تكدره المـــدلاء[1]

و قال أيضا:

عرفت ديـــــــار زينب بالكتيب كخط الوحي في الرق القشيب

تعاورها الرياح و كـــــل جون من الوسمي منـــــهمر سكوب

فأمسى رسمـها خلقا و أمست يبابا بعد ساكنها الحبـــــــيب [2]

و قال أيضا:

تطاول بالجمان ليلي فلم تكـــــن تهم هوادي نجمه أن تصوبا

أبيت أراعيها كأنني مـــــوكـــــل بها لا أريد النوم حتى تغيبا

إذا غار منها كوكب بعد كـــوكب تراقب عيني أخر الليل كوكبا

غوائر تترى من نجوم تخـــــــالها مع الصبح يتلوها زواحف لغبا

[1]– حسان ابن ثابت، الديوان، تحقيق عبد الله سنرة، نشر دار المعرفة بيروت لبنان، ط1427،1هـ –2006م ص15

[2]– المرجع نفسه ص 40

و بين في صوت الغراب اغترابهم عشية أوفى غصن بان، فطربا[1]

ففي هذه الأبيات قد رمز حسان بن ثابت لطول الليل ببطء و اختفاء نجومه و من شدة سهابه كأنه أوكل بترقبها حتى تفل و كذلك توظيفه لرمز الغراب الذي اعتادته العرب نذيرا للشؤم و طالع سيء الخبر.

و في قصيدة البردة لكعب بن زهير حظ وافر من الرموز كقوله:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا و ما مواعيدها إلا الأباطيل[2]

فهذا عرقوب الذي أضحى مثلا تضربه العرب على مخالفي مواعيدهم . يجعله الشاعر رمزا لمحبوبته الوهمية التي خالفت موعدها .

و قوله في البيت الآتي :

شم العرانين أبـــــطال لبوسهم من نسج داوود في الهيجاء و سرابيل[3]

فقد رمز الشاعر في مدحه للمهاجرين بالأنفة و شموخ الأنف دليلا على العزة و رمز لقوة دروعهم و كأنها من صنع النبي داوود عليه السلام.

و نظرا لأثر القرآن الكريم في الشعراء في هذه المرحلة التي غلب عليها الصدق الفني فقد كانت رموزهم بعيدة عن الخيال العميق فقد رمزوا للرسول صلى الله عليه و سلم

---

[1]- المرجع نفسه ص 23

- كعب ابن زهير ، الديوان،شعراؤنا، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري،نشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ،ط1 ،1414هـ-1994م ص13

[3]- المرجع نفسه ص 41

بالنور و السراج و الهدى امتثالا بما وصفه به القرآن الكريم . و هجوا كفار قريش بأشد الكلام وقعا عليهم.

و في قول الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب :

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ زغب الحواصل لا ماء و لا شجر

ألقيت كـــاسبهم في قعر مظلمة فأغفر عليك سلام الله يا عمر[1]

فقد رمز لأبنائه الضعاف الذين تركهم كأفراخ الطير التي لم ينبت فيها الريش بعد إلا زغبا أصفرا مازالت في عشها لا تقوى على قوت يومها.

[1]– جرول بن أوس بن مالك (الحطيئة) ،الديوان ،رواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ، 1413 هـ– 1993م ص1

ج. **الرمز في العصر الأموي:**

في هذا العصر أرست الدولة الإسلامية قواعد حكمها بمفهوم سياسي جديد متأثرة بانفتاحها على الدول المحاذية لها كخراسان و كازاخستان و الفرس و الروم و السند مما ولد حركة ثقافية مزدهرة شاركت فيها عدة عوامل أدت إلى ازدهار الأدب بصفة عامة و الشعر بصفة خاصة منها عوامل سياسية و تتمثل في :

- **تحول عاصمة الحكم من الحجاز إلى الشام و القبض بيد من حديد للحكم لبني أمية.**
- **ظهور بعض الثورات كالخوارج و الشيعة و بعض المذاهب الطائفية التي أذكت شدة الصراع السياسي الذي سينعكس لا محالة على الأدب.**
- **تحول الحياة الاجتماعية من البداوة و التقشف إلى المدنية و الحاضرة بفعل التأثر بالأمم التي فتحوها ، فانعكس ذلك على الأدب و تلون الأدب العربي بألوان جديدة و خاصة بظهور طبقة الموالي التي حذق بعضها في اللغة العربية و استطاعوا أن يشاركوا في الحياة الأدبية و في كل هذا فقد كان بلاط بني أمية الأرض الخصبة التي قوي فيها عود الشعر خاصة و ذلك بإكرام الشعراء و تقريبهم من البلاط و الإغداق عليهم بالأموال و العطايا فسال المديح و أصبح الفن الأول في الشعر العربي بسبب المنافسة بين الشعراء الذين أصبحوا يلتمسون أفخم الألفاظ التي تليق بهذا الفن و يخرج الشعر بذلك و ينحى مسار الخيال بعيدا عن الصدق و الأصالة.**

و في هذا الجو المشحون بالصراع ظهر الشعر السياسي و شعر المناقضات التي ذاعت و احتدمت بشدة و خاصة عند الثالوث جرير، الفرزدق و الأخطل الذين أفحشوا في القول و هتك العورات، كما كان للغزل الحظ الأوفر من الازدهار، الذي حاول شعراؤه التفنن و الإبداع في المعاني الغزلية كمثل عمر بن أبي ربيعة.

فنجد الرمز في قول الأخطل في مدحه لخلفاء بني أمية قوله :

شمس العداوة، حتى يستقاد لهم و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا[1]

و قوله أيضا في هجائهم :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

فتمسك البول أن تجود بـــــه وما تبول لهم إلا بـــــمقدار [2]

و قال أيضا :

فنحن أخ، لم يلق في الناس مثلنا أخا، حين شاب الدهر و ابيض حاجبه

و غيران يغلي للعداوة صـــــــدره (تذبذب) عني لم تنلني مخالبـــــــــه

فإن أك قد فت الكليبي بالعلـــــى فقد أهلكته في الجراء مثالبـــــــــــه

و ظل لــه بين (العقاب) (وراهط) ضبابة يوم، لا توارى كواكبـــــــــــه[3]

فأما شعراء الغزل و قد انقسموا فريقين بين صريح و عفيف و قد أثر أهل العفة بأن يرفعوا محبوباتهم منزلة بالسماء فوظفوا الرمز في ذلك كمثل قول جميل بثينة التي لم يكتف بتشبيهها بالبدر بل جعلها شبيهة الفضل في الحسن كليلة القدر التي فضلت على ألف شهر فيقول :

هي البدر حسنا و النساء كواكب و شتان بين الكواكب و البدر

---

[1]– غياث بن غوث (الأخطل) الديوان ،شرح مهدي محمد ناصر الدين ،نشر دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، ط2 ،1414 هـ– 1994م ص16

[2]– المرجع نفسه ص 166

[3]– المرجع نفسه ص 38

لقد فضلت حسنا على الناس مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر[1]

[1] ـ جميل بن معمر ،الديوان ، بطرس البستاني نشر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، 1402هـ- 1982م ص23

د. الرمز في العصر العباسي:

شهدت الحياة السياسية و الاجتماعية تحولا كبيرا أثر على الحياة الأدبية و ذلك بفعل التمازج بين الأمم الفارسية و الرومية و الهندية و قد طبعت الحياة باللون الفارسي في شتى المجالات بل و أصبحت تنازع العرب في عقر دارهم عن طريق حركة الشعوبية التي ظهرت أنذاك، غير أنه يمكن الجزم بالقول " رب ضارة نافعة" فقد أثرت في الشعر العربي بإبداعها و إنتاجها كما كان من بين الأسباب التي أطرت و أدت إلى ازدهار الحركتين العلمية و الأدبية، تشجيع الخلفاء للترجمة و النقل و إرسال البعثات العلمية إلى الأمم الأجنبية لنقل كنوزهم العلمية و الأدبية ، في ظل هذا التحول وجد بعض الزهاد المسلمين بعض عناصر التأثير الرهبانية من الأمم الأخرى فوجدوا فيها القوالب الجاهزة للدلالة على أحوالهم العرفانية، إضافة إلى بعض الحركات العقلية و الفلسفية التي ظهرت في هذا العصر.

لقد كان ذلك كله مدعاة إلى نشاط التعبير الرمزي على ألسنة الأدباء عامة و الشعراء خاصة و هذا ما نجده عند الشعراء المولدين و خاصة نقطة التحول بشار بن برد الذي أحدث ثورة على اللغة العربية بفعل اختراقه عالم تراسل الحواس فما عرفته العرب في التشبيه بين علاقة المشبه و المشبه به لعلة بينهما و عنده صار التشبيه على سنة التمثل و الإيحاء كمثل قوله :

ألا أيها الســـــائلي جاهدا ليـــــــــعرفني أنـــا أنف الكرم[1]

و يقول أيضا:

[1]– شاكر الفحام نضرات في ديولن بشار بن برد مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ط 2 ،1403هـ–1983م ، ص11

أنا المرعث لا أخفى على أحد ذرت بي الشمس للداني و للنائي[1]

و يقول أيضا :

و لها مضحك كغر الأقاحـــــي و حديث كالوشي و شي البرود

عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن قلب الجليـــــــــد[2]

و هذا حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) استطاع بشعره أن يجعل منه محطة التقاء الزمن الماضي بالمستقبل و الحاضر و نقطة التقاء بين الحضارات و مظهرا من مظاهر التمازج و التفاعل الثقافي فهاهو يوظف أسطورة التنين التي رسمت في مخيلة العرب صورا من الرعب و الذعر و يضفيها على ممدوحه الذي عرف بهيبته و قوته يقول :

لما أرى علميك ولى هاربـــــا و لكفره طرف عليه سخين

ولى و لم يظلم و هل ظلم امرؤ حث النجات و خلفه التنين[3]

كما يحيلنا الشاعر بفضل الأسطورة على واقع الفكر العربي القديم الذي ربما كان يضاهي الفكر اليوناني في علم النجوم و رصدها، يقول واصفا و مادحا للمعتصم بالله :

له كبرياء المشتري و سعوده و سورة بهرام و ظرف عطارد[4]

---

[1]– المرجع نفسه

[2]– بشار بن برد،الديوان،(جم تح . شر)الطاهر بن عاشور،وزارة الثقافة الجزائرية 2007 ج2 ص 194

[3]– ابو تمام (الديوان) ، شرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام ، ط 5 دار المعارف القاهرة 2009، ص 318

[4]– المرجع نفسه ج 2 ص 71

فصورة المشتري كمثل صفة الكبرياء، المتحكم في حسن الحظ و الصحة و الثراء و التفاؤل . و سورة بهرام (المريخ) الذي يمثل القوة و الشجاعة و الغضب (السلطان)* و صفة عطارد تمثل العقل و التفكير و الكتابة و الشعر.

هـ. <u>الرمز في العصر الأندلسي</u> :

في هذا العصر يمكن أن نقدم ابن خفاجة (أبا إسحاق إبراهيم) ت 533هـ كنائب عن شعراء الرمز حيث يعد شاعر الطبيعة الأول، استطاع من خلال تجسيد لعناصر الطبيعة أن يبعث الحياة في الأشياء من خلال فلسفته المعمق، فقد وفق بأن يجمع بين الرمز الأسطوري و الطبيعي في هذه القصيدة و مدى تقديس الإنسان للجبل، ومدى أهميته الأسطورية عند العربي كمثل ذلك اليوناني الذي يقدس الجبل و يجعله حكيم الآلهة " الأطلس" فقد ارتبط العربي بالجبل في عهد الجاهيلية الغابرة .

كقول إمرئ القيس:

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل [1]

و في الإسلام مكانة الجبل عالية و مقدسة . كمثل أحد و عرفة و الجبال أوتاد للأرض كما ذكرها القرآن الكريم، و هاهي اليوم تضم كنوزا للأمم لما تحتويه من معادن.

إن ابن خفاجة قد أسبغ على الجبل صفات الثبات _ الشيخ الحكيم _ العظمة_ الوقار. واستطاع من خلال توظيفه لصفات الجبل الرمزية أن يكون القناع الذي يخفي حالته

---

* – خيذر بن كاوس من اكايد قواد المعتصم (الافشين)

[1] – حندج بن حجر (إمرئ القبس) الديوان ظبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي منشوات علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان

ط 5 /1425هـ--2004م ص118

النفسية القلقة حول هاجس الموت فهذا التماهي في هذا الطرح الفلسفي العميق لم يكن وليد الابتكار، بل لا بد أن تكون له جذور و بدايات أولى كما يراه شوقي ضيف الذي يقارن ابن خفاجة دوما بشعراء مشرقيين لهم السبق على غيرهم أمثال (أبي تمام ، ابن الرومي، ابن المعتز)[1] .

و لعله في هذه القصيدة متأثرا بفلسفة أبي العلاء المعري المتأثرة بالقلق و الحزن من ثنائية الموت و الحياة، نحاول أن نقف على أثر الخيال الشعري لأبي العلاء المعري الذي وظفه باستعمال مختلف الرموز في شعره في هذا البحث المتواضع.

[1]– ينظر شوقي ضيف الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط 9 الناشر دار المعارف مصر 1976ص445

3. الرمز عند الغرب :

كل إبداع يقوم به الإنسان مهما كانت صفته يكون بذرة تغرس لأول وهلة ثم تنمو شيئا فشيئا كذلك من أبدع الرمز، هذا الأخير الذي يكاد يكون فطرة في الإنسان، كان قد جبل عليها يقول كاسرر" أن الإنسان حيوان رمزي"[1] يوظفه عندما تقتضي الضرورة في حياته اليومية و في معاملاته مع الآخرين.

فقد لا توظف لغتنا المنطوقة، في بعض الأحايين، لأنها قد لا تفي بالغرض الذي ننشده و المقام الذي نطلبه، و لذلك نلجأ الى مجموعة من الإيماءات و الإيحاءات لنحقق ما نصبو إليه من مقاصد لغوية و هذا ينطبق حتى على عوام الناس.

أما الرمز الفني هو الذي يوظفه المبدعون في تراكيب نتاجهم الأدبي من المنظوم و المنثور لأغراض قد سطروها للمتلقين و هو دلالة واضحة على اتساع الأفق العلمي لديهم و الرمز كبقية الأعمال الأدبية الخالدة يخضع لعوامل النشأة والتطور، وبالتالي هو مسيرة من الإبداع والتجديد عبر الزمن وقد سبق تقفي مدى توظيف الرمز لدى العرب في العنصر السابق، ومن أجل أن يرقى هذا البحث الى الموضوعية والبعد عن كل تعصب إرتآى الباحثان أن يثرياه بإحالة خفيفة حول تطور مفهوم الرمز عند الغرب.

عرف اليونانيون مصطلح الرمز في لغتهم sumbolein و تعني الحرز و التقدير و هي مؤلفة من شقين sum بمعنى مع و bolein بمعنى حرز.

و للكلمة تاريخ طويل، إستعملها المسيحيون في علم اللاهوت Theologyإذ لها مرادف أي كلمة Symbol و لفظة Creed و تعني دستور الإيمان المسيحي كما

[1]– محمد فتوح احمد الرمز والرمزيه في الشعر المعاصر دار المعارف مصر ط 1977 ص34

إستعملت لفظة رمز قديما في الطقوس الدينية و الفنون الجميلة و الشعر خاصة و ما تزال إلى يومنا هذا[1] .

كما كانت الرمزية حاضرة قديما و حتى حديثا في الصلوات و المزامير و في كثير من الطقوس التي في الغالب ما تمتاز بالغموض ليعطيها هذا الأخير صفة القدسية[2] .

أما واضع أساس الرمز و كان قد لفت اليه النظر هو الفيلسوف العالم أرسطو طاليس و قد تناوله من الناحية اللغوية و عنده أن الألفاظ رموز لمعاني الأشياء أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية لمرتبة أعلى لمرتبة الحس يقول أرسطو " الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس و الكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة " و الرمز عند أرسطو مجرد إشارات[3].

أما ريتشاردز و أوجدن فالتوظيف الرمزي عندهما هو عبارة على تقرير القضايا ويقصدان بهذا القول تسجيل لإشارات ثم تنظيمها ثم توصل للمتلقي الذي سيترجمها بعد ذلك[4].

و في العصر الحديث نجد أن أول من حدد مفهوم الرمز بطريقة أدبية و حديثة هو الألماني جوتة Goethe و كان ذلك عام 1799 بعد الميلاد و كان قد قرر و فوجئ بمشاعر خاصة، غريبة و أليفة نحس بها إزاء بعض الأشياء التي يصفها بأنها رمزية

---

[1]- المرجع نفسه ص35

[2]- جلال عبد الله خلف مجلة كلية الاداب (ن) جامعة ديالي العراق العدد 97 ص 121

[3]- محمد غنيمي هلال النقد الادبي الحديث ط 3 1964 ص 38

[4]- محمد فتوح احمد الرمز والرمزية في الشعر المعاصر دار المعارف مصر ط 1977 ص 36- 38

و الأشياء التي عرضها جوتة وصفها بأنها حالات ظاهرة تمثل عددا من الحالات الأخرى و تستقطبها، و الرمز عنده عبارة على إمتزاج الذات بالموضوع. فإذا تحقق ذلك أشرق الرمز[1] .

أما كانت . cant ـ فله رأي في هذا الشأن و في كتابه الموسوم بعنوان " نقد العقل المحض" حيث يقول: " أن الرمز بعد أن ينتزع من الواقع يصبح طبيعة منقطعة مستقلة بحد ذاتها و ليس من علاقة بينه". كما ظهرت محاولات أخرى لدراسة الرمز و نحسبها دراسات دقيقة ولو نسبيا . ففي سنة 1901 كتب الفرنسي بلليزيه Gpelliesser وكان قد حصر خصائص الرمز في أمور ثلاثة:

1- طريق به نبين ما تشابه بين ما هو وجداني بالنسبة للمبدع و ما هو مادي.
2- لا يتطلب جهدا ذهنيا يقوم بالتجريد.
3- يتعقب به الشاعر العلاقات الخفية بين أفكاره و مشاعره.

و في سنة 1902 و كان معاصرا لبلليزيه ألا و هو بينييه و قد قرر ما يلي " العلاقة بين الصورة و الرمز غير مطردة و قد يكون كل رمز صورة "[2] .

بالرغم من أن جوتة الألماني قد سبق الفرنسيين في هذه المسألة إلا أن المدرسة الفرنسية قدمت محاولات رائدة نذكر منهم شارل بودلير الذي يعتبر رائدا ممهدا لظهور الرمزية في الغرب، إذ كانت قصائده الشعرية تعد قناعا للحقيقة الأولى المكتوبة فيما وراء الأشياء و قد ترجم هذه الفكرة في قصيدته "المرسلات"[3] .

---

[1]- المرجع نفسه ص38

[2]- المرجع السابق ص 40

[3]- جلال عبد الله خلف مجلة كلية الاداب جامعة ديالي العراق العدد 97 ص 122

عقدت الجمعية الفلسفية الفرنسية سنة 1918 إجتماعا بعنوان " مناقشة لمفهوم الرمز " Le symbol"و هي في الحقيقة مبادرة حديثة، و قد إتفق المشاركون على ما أن الرمز شيء حسي معتبر كإشارة لشيء معنوي لا يقع تحت الحواس و هذا الإعتبار قائم على وجود تشابه بين الشيئين أحست بها مخيلة الرامز و خلصوا أن الرمز يتميز بأمرين هما:

1- مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تؤخذ قالبا للرمز و مستوى الحالات الرمزية المرموز إليها و حين يندمج كل منهما يشرق الرمز.
2- لابد أن تكون علاقة و ربط بين ذينك المستويين هذه العلاقة التي تعطي للرمز قوة التمثيل الباطنة فيه و نقصد في ذلك علاقة المشابهة[1].

أقـــــــوال في الرمز:

تقول الشاعرة الأمريكية Emily Dickenson :"قل الحقيقة كلها و لكن قلها بطريقة مباشرة" .

و يقول مالارميه زعيم الرمزيين في فرنسا: "سم شيئا باسمه للدلالة تحذف منه ثلاثة أرباع شاعريته" .

و يقول تشارلتن:" الفصاحة في عرف النقاد أن ندور بالحديث حول الموضوع و لا نلمس قلبه و صميمه"[2] .

من خلال ما سبق نستنتج أن المحاولات العديدة المتأخرة و المتقدمة تكاد تتفق على شيئ واحد و هو أن الرمز أمر ما وراء الأشياء المحسوسة كما تطور الرمز عبر

[1]– محمد فتوح احمد الرمز والرمزية في الشعر المعاصر مرجع سبق ذكره ص 40

[2]–جلال عبد الله خلف مجلة كلية الاداب جامعة ديالي العراق العدد 97 ص 124

العصور ليصل في نهاية الأمر إلى مدرسة لها أسس و قواعد ينحو نحوها الأدباء و الشعراء إلى ان ملأت فكرتها آفاق العالم الأدبي.

4. توظيف أبي العلاء المعري للرمز

يقول أبو العلاء :

وليس على الحقيقة كل قولي ولكن فيه أصناف المجاز[1]

ويقول أيضا :

لا تقيد علي لـــــــفظي فإني مثل غيري تكلمي بالمجاز[2]

وظف المعري الرمز في أشعاره كغيره من الشعراء أو أشد ،وقد اختلف الدارسون حول السبب في ذلك؛ حيث أنه غالبا ما يلجا الشعراء إلى توظيف الرمز لسببين لا ثالث لهما؛ إما لمبدا التقية التي ظهرت مع الشيعة،وإما لإستظهار البراعة اللغوية(الفنية والجمالية) من خلال توظيف الخيال والتلاعب باللغة.

وشاعرنا لم يسلم من أن يكون نقطة خلاف بين الدارسين في هذا الموضوع ؛ فقد ذهب طه حسين إلى القول بمبدا التقية حيث يقول: (أبو العلاء كان سيء الظن بالناس ، شديد الحذر منهم ،فكان يحتاط أشد الإحتياط في إظهار آرائه التي تخالف ما اتفقوا عليه ... ذلك أن أبا العلاء يخبرنا غير مرة بأنه يرى التقية و مداراة الناس ،ويذهب مذهب المجاز في إظهار آرائه وأن في نفسه سرا لن يظهر الناس عليه، لأنه يخشى منهم الأذاة[3] وفي ذلك يقول :

أهوى الحياة وحسبي من معايبها إني أعيش بتمويه وتدليـــــــس

---

[1] –ابو العلاء احمد ابن عبد الله ابن سليمان المعري شرح اللزوميات تحقيق سيدة حامد واخرون مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992 ج3 ص 302

[2] – المرجع نفسه ص 305

[3]– طه حسين تجديد ذكرى ابي العلاء المعري مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط 2 القاهرة 1922 ص222

فأكتم حديثك لا يشعر به أحـــد من رهط جبريل أو من رهط إبليس[1]

ويقول أيضا :

لا تـــخبرن بكنه دينـــك معشـــرا شـــــــــــطرا وإن تفعل فأنت مغرر

واصمت فان الصمت يكفي أهله والنطق يظهر كـــــــــامنا ويقرر[2]

ويرى أخرون أن أبا العلاء المعري يميل بطبعه الى إظهار مقدرته اللغوية؛ من بينهم الدكتورة تغريد زعيميان التي تقول: (أكثر ابو العلاء في ديوانه اللزوميات من استخدام الغريب ، حتى تخفى أغراض الكتاب على كثير من الناس ، لم يكن يحب أن يظهروا عليها؛ وهذا هو علة حبه للرمز والايماء، وايثار الالفاظ الجافية ،للمعاني الغريبة)[3]

كما وقف الباحثان على ما يفند رأي طه حسين؛ وذلك بما ذهب إليه أنيس المقد سي في قوله :(ولا نذهب الى ما ذهب اليه بعض أعلام الباحثين من أن المعري يقصد ذلك ليخفي أغراضه عن العامة، كما اعتقد طه حسين فإن أبا العلاء كان صريحا وله في لزومياته كثير من النقد المر الذي بلغت به الصراحة أبعد مدى)[4]

لقد جمع شعره وخاصة لزومياته العديد من المتناقضات؛ جعلت ممن اتبعوا ما تشابه منه ولم يقرؤوا ما بين السطور يتهمونه بالزندقة والإلحاد[5] ،وأما ما ينفع الناس فيمكث

---

[1] – المرجع نفسه ص223

[2]– المرجع السابق ص 90 (ابي العلاء) شرح اللزوميات

[3]– ينظر تغريد زعيميان (الاراء الفلسفية)ف تجديد ذكرى ابي العلاء المعري ص 204 (ص 190 عند ابي العلاء المعري و عمر الخيام

[4]– ينظر في امراء الشعر العربي وتاريخه ص 409 (تغريد زعيميان) الاراء الفلسفية ص 190

[5]– يينظر عبد الفتاح كيليطو متاهات القول دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب ط 1 2000 ص 59

في الأرض؛ ذاك ماذهب إليه المعري في استعماله للرمز حيث يظهر براعته في التحكم بزمام اللغة وكأن مفرداتها كلها آلت بين يديه وانقادت على لسانه مطواعة راغبة .

كما أن ما ذهب إليه طه حسين يدحضه ما ذهب إليه"محمد سليم الجندي"؛ أن المعري كان يكثرمن استعمال الغريب في شعره ونثره بقوله:(ونحن لاننكر وجود الغريب في كلامه، ولكن أكثر ما نراه غريبا في عهدنا هذا لم يكن غريبا في عصر أبي العلاء لأننا في حكم الأعاجم ،لا نعلم من الفصيح والمانوس إلا النزر اليسير، وأبو العلاء واسع الإطلاع للغة، كثير الحفظ لمفرداتها)[1]

والباحثان متأثران بهذا الإتجاه الثاني والذي من خلاله أرادا ان يسهما بوجهة نظرهما المتواضعة والتي مفادها أن استثمار أبي العلاء للرمز من خلال هذه المتناقضات هو قيامه بعملية تمثيل جميع أدوار الشخصيات على خشبة المسرح وخاصة في لزومياته، حيث نجده في مقام الحكيم، المرشد، الموجه والواعظ الذي يريد الخير للناس، وفي مقام أخر يلبس حلة الأخر المستهتر بدينه وآخرته، المنغمس في ملذات الحياة الدنيا، مثلهم كمثل الأولين الذين لم يتقبلوا رسالات رسلهم، فناله من قومه ما نالوه من أقوامهم، فآتاهم بالمعجزات من عند ربهم التي أودعها الله تعالى على لسان عربي مبين .

يقول أبو العلاء المعري :

ومن تأمل أقوالي رأى جملا يظل فيهن سر الناس مشروحا[2]

ويقول أيضا :

[1]– تغريد زعيميان مرجع سبق ذكره ص189

[2]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات ،تح أمين عبد العزيز الخانجي ،نشر مكتبة الخانجي القاهرة ج1 ص 217

نقول عن المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما نقول[1]

وقد استثمر الشاعر عناصر الطبيعة لما يرى فيها من إمتداد لكيانه الشخصي والطبيعي،وقد هيمن على أشعاره بتعددها وتكرارها آما كمشترك لفظي بين أسماء بعض الحيوانات والأماكن وبعض أسماء الأشخاص كقوله :

واحذر دعاء ظليم في نعامته فرب دعوة داع تخرق الحجب [2]

فلفظة ظليم مشترك لفظي بين المظلوم وفرخ النعامة وكذلك النعامة مشترك بين ظلمة الليل والنعامة الطائر .

وإما تكرارها لإختلاف دلالتها الرمزية ماأكسبها مفاهيما خاصة تتجدد باستمرار،ماجعلنا نجدد دراسة بعضها حسب ورودها في السياق الذي وظفت من أجله ، ونقتصر على الرموز المهيمنة والتي ربما أغنت عن بقيتها في الكشف عن خلفية الشاعر في توظيف الرمز، والتي سيتم بيانها في الفصل الثاني :

[1]– ابو العلاء المعري ،شرح اللزوميات ، تح سيدة حامد ومنيرالمدني وآخرون، الهيئة العامة المصرية للكتاب ،مركز تحقيق التراث

1581هـ – 1992م ج1 ص 411

[3] . المرجع نفسه ص 139

الـــــفصل الثاني

الفصل التطبيقي

1. الرموز العامة

أ. الرمز الأسطوري

الأساطير (Myth ,mythos) :هي الفهم الكلاسيكي لمجموعة خرافات وأقاصيص وهي اشتقاقا من سطر الأحاديث و موضوعها، إضافة للآلهة يتناول الأبطال الغابرين وفق لغة و تصورات وخيالات و تأملات و أحكام تناسب العصر والمكان الذي صيغت فيه[1]

فقد طغت الأسطورة على الفكر الإنساني حقبة عظيمة من الزمن حيث كان يفسر ظواهر الطبيعة وفق معطيات غيبية خارقة ينسجها من خياله كمثل نشأة الكون و خلق الإنسان و مصيره و حركة الأجرام السماوية و الكواكب.

وقد كانت المعابد و هياكل الآلهة قديما هي الرحم الذي تولدت منه الأسطورة حيث (يذهب نفر من علماء المثيولوجيا إلى أن أول الأعمال الأدبية الأسطورية ولدت في المعابد و هياكل الآلهة و يعتقد (روبرتسون سميث w.r.smith) أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الديني لأن التراث المقدس يتخذ شكلا قصصيا يدور حول الآلهة ...بحيث كانت الأسطورة جزءا من بنية الدين و طقوس العبادة) [2]

و قد تمظهرت هذه الأساطير في همهمات الكهان و ترانيمهم و سجوعهم و تعهد الشعر بحفظها و لعله العامل الأساسي الذي أبقى حلقات التاريخ متصلة حيث يروي ملاحم اليونان و الإغريق و الحضارات البابلية و الرافدية.

---

[1]–سيد القمني الاسطورة والتراث ط 1999/3 المركز المصري لبحوث الحضارة (تحت التاسيس)القاهرة ص29

[2]– المرجع نفسه ص29

في هذه الارض الخصبة استطاع الشعراء أن يخرقوا حدود الزمن و يستثمروا هذه الأساطير في إبداعهم ويغوصوا في أعماقها و جوهرها و يوظفوها تعبيرا عن أحاسيسهم و مشاعرهم

و إستدعاء الأساطير تحريك للخيال الشعري و بعثها من جديد لتلبس روحا جديدة و تجربة مغايرة تظهر في مقدرة الشاعر اللغوية و الفنية في بناء قصيدته و يتحقق له بذلك البعد الإيحائي و الرمزي وإعطاء الواقع صبغة توعوية و تربوية و إجتماعية من أجل تغييره .

و الشاعر العربي في هذا النوع من الرمز ذا صلة قديمة ترجع الى العصر الجاهلي، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [1]

فقد حوى الشعر العربي القديم إشارات أسطورية كحكاية زرقاء اليمامة و أسطورة الهامة أو الصدى.

و شاعرنا أبو العلاء واحد من اولئك الذين تمكنوا من العربية و نضج شعره بالرمز الأسطوري الذي كثرت حوله التأويلات بسبب الغموض.

وقد كانت رموزه الأسطورية حاضرة بقوة في شعره وتعود مرجعيتها للتراث العربي الذي اتسعت معالمه مما حال دون الوقوف على كلها وإستأثر الباحثان على ذكر بعضها الذي يغني عن بقيتها .

[1]– سورة الانفال الاية رقم 31

1) الأساطير الحيوانية

قدس العرب الحيوان لما له من أهمية في حياتهم حيث يمثل جزءا رئيسا من حياتهم المعيشية تجلى كموروث ثقافي إستمد منه الشعراء معانيهم وصورهم لاسيما الثالوث الحيواني(الناقة، الخيل، الحمار الوحشي والضباء) .

ومن بينهم شاعرنا أبو العلاء الذي قد أكثر من استعمال هذه الرموز متقفيا كل دلالات وأسماء الحيوان في أشعاره .

2) الرمزية الأسطورية للناقة:

وردت في أشعار أبي العلاء بصفات وأسماء مختلفة و متعددة وترمز الناقة الى ديمومة الحركة وعدم الإستقرار و العمل وإستمرارية الحياة في بيئة قاسية وهي أنيس الإنسان في بيئة استوحشت بجفافها، والناقة قادرة على مقاساة الصعاب معه، مرافقة له في حله وترحاله، وقد كان لهذه الصورة إمتدادا بجذور أسطورية عند العرب قديما تزعم أن الإبل مولعة بأكل عظام الموتى من الناس، فكانوا يثأرون لأنفسهم منها في حياتهم .

كما جعلوا الناقة راحلتهم في معراجهم الى حياتهم الثانية بعد الموت حيث كانوا يرمزون لها بالبلية التي كانوا يربطونها عند قبر الميت ساعة دفنه حتى يدركها الموت فإذا ما نهض الميت من قبره وجدها بقربه فامتطاها ليعبر بها الى العالم الآخر[1]؛ وفي هذا الشأن قال عمر بن زيد يوصي ابنه :

ابني زودني إذا فـــارقتنـــــي في القبر راحـــلة برحل قاتر

[1]– السيد محمود شكري الالوسي البغدادي بلوغ الارب في معرفة احوال العرب شرح وتصحيح محمد بهجة الاثري ج 2 ط2 المطبعة الرحمانية مصر 1343 هـ –1924 ص 307

للبعث أركبها إذا قيل أضعنوا مستوثقين معا لحشر الحاشر[1] .

وقال حربية بن الأشيم الفقعسي لابنه في هذه البلية (الناقة) :

يا سعد إما أهلكن فإننـــــــي أوصيك أن أخا الوصـــاة الأقرب

لا أعرفن أباك يحشر خـــلفكم تعبا يخر على اليدين وينـــكب

واحمل أباك على بـــعير صالح واتقي الخطيئة إنـــه هو الأصوب

ولعل لي مما جمعت مـــــطية في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا[2]

وقد عجت أشعار أبي العلاء المعري بحضور هذا الرمز وخاصة في ديوانه سقط الزند بينما ندرت في لزومياته التي تدل على إستقراره و التزامه بيته وقد ورد هذا الرمز تحت صفات ونعوت قوله في قصيدته الموسومة يالعنوان "إسم الأمير فال":

أعن وخذ القلاص كشفت حالا ومن الظلام طلبت مالا[3]؟

والقلوص الشابة من الابل تشبه بالفتاة من النساء رمزا على النماء و الخصوبة والحركة، إستحضرها الشاعر هنا في موقف يعاتب فيه نفسه على طلب المال وإجهاد أكباد الإبل الفتية في التنقل و الترحال من أجل طلب المال ويقول في قصيدته:

بتنا في ســـروج ضـــــوامر منا وأخر في رحال عرامس[1]

---

[1]– السيد محمود شكري الألوسي،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج2،(شر. تصمحمد بهجت الأثري)،المطبعة الرحمانيةمصر،ط2 1343هـ–1964م ص 310

[2]– المرجع السابق ص 8

[3]– أبو العرء المعري،ديوان سقط الزند ،دار بيروت لطباعة والنشر1376هـ–1957م ص47

فالعرامس مفردها عرمس وهي الناقة الشديدة اي التي تقوى على مشاق المسير والترحال .

ويقول أيضا في قصيدته :

ياراعي المضر ما سومت في دعة وعرسك الشاة فاحذر جارك الذيبا

فالمضر هي الناقة التي تشد ضرعها بالصرار لكي لايرضعها ولدها[2]

ويقول أيضا :

بعيس تقضي الدهر حوبا كأنها مفتشة أحشـــاءه عن كرامه

خفافها يباهي كل هجل هبــطنه بهن على الـعلات ربد نعامه[3]

فالعيس هي لونها التي تميز عن أنواع الإبل والتى هي أخف من النعام في سيرها

وقال ايضا :

حتى سطرنا بها البيداء على عروض وكل وجناء مثل النون في السطر[4]

فشاعرنا وظف هذا الرمز خاصة في مديحه كما جرت عادة الشعراء[1] العرب في بناء القصيدة العربية التي لم يحد عنها، وهي وصف الراحلة وشد الرحال الى الممدوح .

---

[1]– التبريزي و وآخرون ط 3 شروح سقط الزند ،تح مصطفى السقا واخرون ،الهيئة العربية العامة للكتاب 1406 هـ– 1986 م ص 25

[2]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مرجع سبق ذكره ص 102

[3] . التبيزي وآخرون شروح سقط الزند تح مصطفى السقاواخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3 ،1406هـ– 1986م ص،490

[4] – ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ص 62

كما أنه يتطرق الى الوصف الدقيق لهذه الرحلة إذ تطرق إلى كل المحن التي تتلقاها الإبل من مشاق السفر والسير؛ كالعطش و الذئاب وفي ذلك يقول في لزومياته:

يقفز اللئيم كريم القوم مكتســـبا إن السراحين يتبعن السراحيبا [2]

وقد جاء الإسلام ودعا إلى النظر و التدبر في كيفية خلق الله للإبل والتي جاءت معجزة سماوية لقوم صالح حيث يقول تعالى:﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾"[3]

وقال أيضا : ﴿اَفَلَا يَنْظُرُونَ اِلَى اَلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[4] .

وكثيرا ما رمز إلى الناقة بحرف النون في السطر كقوله :

وحرف كنون تحت راء، ولم يكن بدال، يؤم الرسم غيره النقط

فالحرف هي الناقة شبهها بالنون في ضمرها وهزالها تحت راء أي تحت رجل يضرب رئتها، لم يكن بدال بمعنى لم يكن رفيق بها يقصد دار الحبيب التي غيرها سقوط المطر[5]

فهذه التشبيهات بين حروف اللغة والأشياء تعد فراسة وريادة لم تتأتى بين أيدي أهل البديع يومئذ وقال أيضا :

ترى العـــــود منها باكيا فكأنه فصيل صماه الحلف رب عيال

---

[1]– ابو العلاء سقط الزند الديوان مصدر سبق ذكره ص 62

[2]– ابو العلاء ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 148

[3]– سورة القمر الأية 27

[4]– سورة الغاشية الأية 17

[5]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مرجع سبق ذكره ص177

فالعود هو الجمل المسن والفصيل صغيرها[1]

وقال أيضا:

كم هم نضو أن يطير مع الصبا إلى الشـــــام لولا حبسه بعقال

دليل على ضعفه وحبسه في العمى[2] .

3) <u>الرمزية الأسطورية للخيل</u>

نالت الخيل من الشرف حضها من بين سائر الحيوان، فهي أحسن ذوات الأربع صورة، وأفضلها وأشبهها بالإنسان في الكرم، وشرف النفس، وعلو الهمة، وقد ورد الثناء عليها في القران الكريم[3]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ "[4]

وقال أيضا :" ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [5]

وقال أيضا:﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ [6]

---

[1]– – المرجع السابق ص245

[2]– المرجع السابق ص244

[3]– ينظر السيد شكري الالوسي بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج2ص 75 مرجع سبق ذكره

[4]– سورة الانفال الاية 60

[5]– سورة العاديات الاية 1

[6] ـ سررة ص الآيات من 31 الى 32

فالفرس أو الحصان لعب دورا أساسا في حياة العربي وكان موضوعا نمطيا في معظم القصائد العربية ويمثل إحدى الرواسب الأسطورية الحيوانية التي ارتبطت بالفكر العربي الجاهلي فقد عبدت الإبل والخيل في الديانات العربية القديمة[1] وقد ارتبطت صورته

الأرضية بصورة سماوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمطر والسماء ،(فالحصان كان يلعب دور الحصان الشمس المقدس لذلك فهو ينوب عن إله الشمس)[2] .

وغالبا ما وظف هذا الرمز في الشعر العربي في الملاحم و الحروب و الصيد حيث استوحى الشعراء هذا الرمز من الأسطورة القائلة أن الصافنات الجياد التى عرضت على سليمان النبي عليه السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه داوود عليه السلام فلما ألهته عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب عرقبها إلا أفراسا فوفد عليه قوم من الأزد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا": "يانبي الله أرضنا شاسعة زودنا ما يبلغنا إليها"، فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال: "إذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فإنكم لاتورون ناركم حتى يأتيكم بطعام"، فساروا بالفرس وكانوا إذا نزلوا منزلا حملوا عليه غلامهم للقنص فلا يفوته شيء حتى تقع عليه عينه من ظبي أو بقر أو حمار، فسموا ذلك الفرس بزاد الراكب وزعموا أن خيل العرب من نتاجه[3] .

نرى أن شاعرنا متأثر بالمتنبي وخاصة في ديوانه سقط الزند الذي يحاول فيه أن يصوغ من أشعاره ملاحما كملاحم المتنبي الذي يتداعى حضوره بين صهيل الجياد وقرع السيوف على ظهور الخيل عدوا خلف الطرائد فغالبا ما نجده أثناء مدحه يقحم وجوده

---

[1]– علي البطل الصورة في الشعر العربي، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر 1401هـ–1981م ص150

[2]– المرجع السابق ص151

[3]– زكرياء بن محمد بن محمود الكوفي القزويني عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ط1 1421هـ–2000 م ص 303

بقوة الوصف ودقته كأنه يرى كل تفاصيل الأحداث وحتى لباس ممدوحه رغم ان حاسة الرؤيا عنده معطلة(أعمى) منذ الرابعة من عمره قال:

أردنا أن نصيد به مـــــــهاة فقطعت الحبائل والحـــــبالا

سرى برق المعرة بعـــد وهن فبات برامـة يصف الكـــــلالا

شجا ركبا و أفـــــراسا و إبلا وزاد،فكان يشــجو الرحـــــالا

بها كانت جيادهم مهــارا وهم مردا، و ويزلـهم فصـــــــــالا

صحبنا بالبدية، من حصيـــن وحصن، شر من صحب الرجالا

لقد جشمت طرفك متثـــقلات فحشمن أربعة عـــــــــجالا

محلى البرد ،تحسبه تـــــــردى نجوم الليل ،وانتعل الهلالا [1]

وقال أيضا :

ولو لا قولك الخـــلاق ربي لكان لنا بطلعتك افتتان

تخب بك الجياد، كأن جونا على لباتهن الأرجـــوان

مضمرة كأن الحجر منـــها إذا ما آنست فزعا ،حصان

بنات الخيل تعرفها دلـــوك وصارخة وآلس و اللقان[2]

وفي قصيدته تبوح بفضلك الدنيا، يرد بها على الشريف إسحاق بن موسى يثني فيها على الخيل فقال:

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند ص 51 الى 53

[2]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مرجع سبق ذكره ص 68

رأيتك واحدا أبرحت عزمـــا ومثلك من رأى الرأي النجيحا

فلم تؤثر على مهر، فصيلا ولم تختر على حجر ،لقوحا

ركبت الليل في كيد الأعادي وأعددت الصباح له صبوحا

وأعظم حادث فرس كريـــم يكون مليكه رجلا شحيـــحا

كأن غبوقه، من فـــرط ري أباه جسمه فغدا مسيـــــحا [1]

وفي إحدى قصائد درعياته الموسومة بالعنوان "ألاقي الدارعين بغير درع " قال :

كأني لم أرد الخيل تـــردي إذا استسقيتها عـلقا سقتني

كأن جيادهم أسراب وحش أصرعهن: من ربد وأتـــن[2]

غير أنه في لزومياته يلاحظ عليه هدوء تلك الحماسة والوله بهذه الخيل و سكون حركتها وصهيلها لإلتزامه فقال :

أجرى من الخيل آمال أصرفها لـها بحثي تقريب و إخباب[3]

وقـــــــــال :

وأسروا على الخيل العتاق وأصمتوا نواطقها إلا تحمحم هائب

وشد لسان الطرف خوف صـــهيله فقد ألجموا أفواهها بالسبائب[4]

---

[1] ـ المصدر السابق ص74

[2] – ابو العلاء الدرعيات ديوان سقط الزند ص 260

[3] – شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ج1ص 114

[4] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 172

4) الرمزية الأسطورية للثور الوحشي

ترنمت أشعار العرب بذكر الثور الوحشي واقترن ذكره كـأحد أقطاب الثالوث الحيواني الأسطوري عند الشعراء، فهو ثالث ثلاثة (الناقة . الخيل . الثور الوحشي) والتي مردها إلى معتقدات دينية، فقد كان الثور الوحشي يمثل إله القوة والخصب عند السومريين ويسمى إنليل، أما عند العرب فيسمى بعل ويرمز به إلى الهلال والقمر .

و كانت عبادة الثور تجسيدا أرضيا لعبادة القمر السماوي الذي ارتبط بطقوس الزراعة والخصب و الماء و المطر و قد نزل القرآن الكريم يعاتب العرب على عبادتها بعلا . الثور. و ذلك في قوله تعالى﴿: "و إن إلياس لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلا و تذرون أحسن الخالقين ﴾ [1] "

وقد نسج القدامى عدة أساطير حول الثور؛ فحسب الميثولوجيا العربية أنه كان أحد سبل نشوء الكون[2] .كما اتخذ الثور تعويذة سحرية من أجل الاستسقاء[3] .وكذلك ارتبط ذبحه طلبا للخصب في منطقة جذبة اذ كانت لهذه الطقوس التي مورست في جزيرة العرب جذورا تربطها بقصة الكبش السماوي الذي فدى به الله سبحانه و تعالى سيدنا اسماعيل[4] .

---

[1]– سورة الصافات الاية 125

[2]– كمال الدين محمد بن موسى الدميري حياة الحيوان الكبى تحقيق احمد السبح دار الكتب العلمية بيروت 2003م ط2 ج1 ص 260

[3]– قيس النوري ،الأساطير وعلم الاجناس ،دار الكتب الموصل ،1401هـ– 1981م ص 192

[4]– ينظر سعد عبود سمار قدسية الثور عند العرب قبل الاسلام كـــية التربية للعـــلوم الانسانية جامعة واسط العراق العدد 35 ايار 2019 ص 15

وقد كان الثور الوحشي على ألسنة الشعراء طريدة للصيد غير أن ما لمسناه عند شاعرنا فإنه يستحضره للتشبيه والمماثلة فقط من أجل أن يكتمل عنده ذلك المجد الذي يحاول أن يبنيه لنفسه كبقية الشعراء و أن يلتزم خطاهم في بناء القصيدة العربية شكلا و مضمونا. كقوله في سقط الزند في قصيدته التي مطلعها "أعن وخذ القلاص كشفت حالا ":

يذقن بني العصاة اليتم صرفا ويتركن الجآذر و السخالا

فما يرمين بالآجال إجـــــــلا ويرمين المقانب و الرعالا

فقد وصف ممدوحيه بأنهم يتركوا يصطرفون عن صيد البقر الوحشي (الآيل) و أولاده و أولاد الشياه (الجأذر و السخال) ويهتمون بصيد الموكب من الفرسان وخيلهم[1]

وفي قوله أيضا:

أردنا أن نصيد به مهاة فقطعت الحبائل والحبالا

ونم بطيفها الساري جواد فجنبنا الزيارة و الوصالا

فانه يصف حبيبته بالمهاة (البقر الوحشي) وأراد أن يصيدها في الليل عبر طيفها الخاطف الذي حيره صهيل الجواد الذي قطع بينهما حبل الوداد و الزيارة[2]

وقال في قصيدته التي مطلعها "أفوق البدر يوضع لي مهاد "من ديوانه سقط الزند:

وأرض بت أقري الوحش زادي بها ليثوب لي منهن زاد

فاطعمها لاجلها طعامـــــــي و رب قطيعة جلب الوداد [1]

---

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند ص 49

[2]– المصدر نفسه ص 51

في هذه القصيدة شاعرنا يثني على نفسه الأدبية و يرفعها مكانة علية لكثرة حساده و الباغين عنه فشبه أعداءه بالبقر الوحشي الذي نصب له كمائن الصيد فكان يقدم له من الطعام ما يمكنه منه حيث وجد في حسد هؤلاء الأعداء ما يستمد منه نفسه و طاقته الشعرية.

5) الرمزية الأسطورية للحمام

ارتبطت صورة الحمام بالمعطيات الأسطورية التي صاغها الفكر البشري حول هذا الرمز القديم، وقد استثمرها الشعراء بدلالات مختلفة في أشعارهم، عبروا من خلالها عن أرق مشاعرهم وأصدقها، رأى فيها النائح الباكي رمزا للواعج الحزن والأسى في رثائه ورأى فيها المتغزل رمزا لمشاعر الحب والوجد، ووجد فيه النائي غريب الأهل والأوطان سلواه ومحاوره الذي يحمله رسائل الشوق والحنين .

لقد جاء في أسطورة الطوفان، أن نوحا عليه السلام، أرسل حمامة لتكشف عما إذا كانت هناك أرض لم يغمرها الطوفان فرجعت إليه حاملة غصن زيتون كعلامة على وجود مناطق لم يجتاحها الطوفان، فأصبحت الحمامة رمزا للسلام، بعد أن طوقها نوح تكريما لها[2] .

وأما عند العرب فقد ارتسم هذا الرمز كرمز للطمأنينة والسلام ففي مكة؛ تعزو العرب أن سمة الحزن والبكاء تطوقها الحمام من عهد نوح عليه السلام، وتزعم أن فرخا لها

---

[1] . المصدر نفسه ص83

[2]– ابو الفداء اسماعبل الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ج1، النشر مكتبة المعارف بيروت 1410هـ – 1990م ،ص116

(الهديل) كان على عهد نوح وقد مات عطشا ،فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه وتناديه[1] .

كما اشتقت الأسطورة العربية من صوت الحمام وهو الهديل الذي يبعث الحزن والشجن (إن الحمام يبكي فرخا له إقتنصه نسر في عصر نوح عليه السلام، فتحول الحمام إلى رمز للوفاء وحفظ ذكر الهالكين، فما من حمامة إلا تبكي هديلا[2] .

فكم من شاعر وجد عند هذا الرمز سلواه عما يعتصر قلبه من أحزان، فهذا أبو فراس الحمداني وذاك أبو العلاء المعري مضرب المثل في مناجاة الحمام وفتح الحوار مع هذا الطائر الذي هيج القرائح فطفق المعري ينشد :

أبنات الهديل أسعدن أو عد ن قليل العزاء بالإســـــــعاد

إيه لله دركن فأنـــــتن الـــــ ـلواتي يحسن حفظ الـــــوداد

مانسيتن هالكا في الأوان الـ ـخال أودى من قبل هالك إياد[3]

فقد وجد شاعرنا في هذا الطائر من يقاسمه الأحزان بعد أن فقد المؤاس في فجيعته، كما ربط الشاعر هذا الرمز بالشاعرة الخنساء التي أكثرت النحيب والبكاء على أخيها صخر في قوله :

أشاعت قيلها وبكت أخاها فأضحت وهي خنساء الحمام[1]

---

[1]– جمال الدين ابن منظور لسان العرب ،تح امين محمد عبد الوهاب وآخر ، نشر دار إحياء التراث العربي . م التاريخ العربي

بيروت لبنان ،1434هـ (هدل) ط14 ص215

[2]– شروح سقط الزند ص 981

[3]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند ص8

ومن شدة حزنه الشديد يحاول أن يحرم الحمامة من شجوها وفرحتها قال:

أبكت تلكم الحمامة أم غنت؟ على فرع غصنها المياد

بيد أني لا أرتجي مـــــافعلت ـن وأطواقكن في الأجياد[2]

فهو يعاتبها بأن تضع حلتها وزينتها وتلبس لباس الحداد وتضع هذا الطوق الذي يمثل الفرح والجمال، والذي انقلب يأسر ويخنق صوتها وأصبح التعبير عن شجوها في غاية الضيق ،وأصبحت لا تقوى حتى على فتح فمها ليفهم منها ما تنشد حتى امتلأ صدرها وضاق بحمل الهموم والوجد المتصاعد الذي لم يقو أمامه هذا الطوق على الصمود على جشيان هذا الوجد المأسور المشدو هديلا قال المعري:

تداعى مصعدا في الجيد وجد فغال الـــــطوق منها بانفصام

وحماء العلاط يضيق فوهـــــا بما في الصدر من صفة الغرام [3]

إن حديث الشاعر عن الحمامة ما هو إلا حديث عن الشاعر يداري خلف أستار هذا الرمز وجدانه الصاخب الذي طوق بالتكتم والإعتزال لقساوة الحياة عليه، غير أن الغائص في أعماق حزن الشاعر يستشف رسالته المبثوثة، والتي تعبر عن مدى حزنه الشديد على المصير الحتمي للإنسان وهو الموت ،غير أن هذا الإنسان غير آبه لهذا المصير، ويجري وراء الدنيا يجمع حطاما زائفا فانيا ففي بيته الذي قال فيه:

ألا نبهنني قينات بث بشمن غضى فملن إلى بشام[4]

---

[1]- المصدر نفسه ص40

[2]- المصدر نفسه ص7

[3] . المصدر نفسه ص 40

[4]- المصدر السابق ص 40

فكأننا به يستحضر رمز القينات اللاتي استدعين إلى جو احتفالي ملؤه الغفلة والشهوات فيطلب من هاته القينات أن يبكين للحزين وينبهن الغافلين عن مصائرهم فيقول للحمام بدلا من أن تطربن على عصن الغض للفرح، نحن فوق شجر البشام .

ب. الرموز الصوفية

جاء الإسلام ودعى إلى الوسطية كما دعى إلى العمل للآخرة باعتبارها دار القرار والحياة الدنيا مطية لها.

قال تعالى:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾" [1]

وقال أيضا :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [2]

غير أن بعض العباد من حادوا عن هذا المنهج القويم إما بالتفريط وإما بالمغالاة في الدين، وكان أحد الأسباب في ذلك دخول بعض الأمم الأعاجم في ذلك كالفارسية والهندية إذ كان لها التأثير في بث بعض الطقوس و السلوكات المذهبية في الإسلام من بينها المذهب الصوفي الذي تعددت مفاهيمه ومدلولاته ونشأته، غير أن المنهج الذي سلكه الصوفيون في الحياة هو الزهد والتقشف في متاع الحياة الدنيا وحرمان النفس من ملذاتها طلبا وتعلقا بعالم الروح الكامل الذي تتجسد فيه الحقيقة، وقد جعل أهل الصوفية معجما خاصا بهم يقوم على الرمز ويحمل خبايا وأسرار اللغة الصوفية؛ وقد شقوا طريقتين في التعبير الرمزي، طريق وجداني وآخر فلسفي عقلي، أسس فيه شاعرنا المعري كيانا رحبا تخطى فيه عالم المحسوس إلى عالم الغيب الذي ليس فيه إلا الله عند المعري، قال في ذلك:

كل يسبح فافهم التـــقديس في صوت الغراب وفي صياح الجدجد[1]

[1]– سورة القصص الأية 77

[2] ـ سورة الأعراف الأية 32

الله صورني ولست بعالـــــــم لما ذاك سبحان القدير الواحــد

فلتشهد الساعات والأنفاس لي إني برئت من الغوي الجاحــد [2]

أذكر إلاهك إن هببت من الكرى وإذا هممت بهجعة ورقـــاد[3]

زهد المعري في الدنيا زهدا فلسفيا؛ بالغ فيه على نفسه فحرم عليها الطيبات التي أحلها الله تعالى قـــــــال :

فاترك لأهل الملك لذاتهم فحسبنا الحمـــــأة والأحبل

ونشرب الماء براحتنـــا إن لـــــم يكن ما بيننا جنبل[4]

و قـــــال أيضا :

لـــــــباس البرس فــلا أخضر ولا خلـــــوقي ولا أدكــن[5]

غـــــالوا بأنـــوفهم فما حسنوا في ذهبي اللــباس بل قبحوا [6]

إضافة على هذا التقشف في المعيشة والزهد في الحياة ،فإنه اعتزل الناس لما يرى في ذلك من طهارة من دنس العصر والناس قال في ذلك :

---

[1]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 282

[2] ـ المصدر نفسه ص 284

[3] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميلت ج2 ، مصدر سبق ذكره ص 13

[4]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ج 3ص 1239

[5]– المصدر نفسه ج 2ص1542

[6]– المصدر نفسه ج 1ص 369

إذا حضرت عندي الجماعة أوحشت فما وحدتي إلا صحيفة إيناسي

طهارة مثلي في التباعد عنكـــــــم وقربكم يجني همومي وأدناسي[1]

ومن رقته كان لا يأكل لحما ولا ثمارا لحيوان لقوله :

ولم تكلفتم أكـــــــباد شاه وحامل ووحش إلى أن رمتم كبد الضب[2]

ولا تفجعن الطير وهي غـــــــوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح[3]

بلغ به الحال إلى هجر حتى العسل الذي يقول فيه عز وجل:﴿" ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾" [4].ما فتح عليه باب الإتهام بأنه على مذهب براهمة الهند[5] ،غير أنه في بعض أبياته نجد منهجه مخالفا لمنهج الصوفيين وقد هاجمهم في بعضها وخاصة في قضية:

1) الحلول والإتحاد:

يـــــــقول أبو العلاء:

---

[1]– المصدر نفسه ج 2 ص900

[2]– المصدر نفسه ج 1 ص159

[3]– المصدر نفسه ج 1 ص372

[4] . سورة النحل الأية 69

[5]– ينظر شوقي ضيف الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط 7 القاهرة دار المعارف 1969ص 389

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم وأهون بالحلول[1]

أقال الله حين عبدتموه كـــــلوا أكل البهائم وأرقصوا لي ؟

و قـــــال أيضا :

تزيوا بالتصوف عن خداع فهل رزت الرجال أو اعتميت [2]

تستروا بأمور في ديـــــــانتهم وإنما دينهم دين الزناديق[3]

2)رمزية الـــــــخمرة

حاد المعري عن مذهب الصوفيين في هذه القضية ويحذر من شربها لأن الفرح الذي تبعثه في الشارب يزول ويذهب بالصواب قال في ذلك :

بوارق للحـاب لا للسحـــــاب طربت إلى ضوء لماحها

أرى الخمر تجمع بالشاربين فلا تخدعن بإسماحـــــها

وكم طمحت باللبيـــــب الأريب فأسقط عن ظهر طماحها [4]

وقال أيضا :

---

[1]– ابو العلاء المعري، ديوان سقط الزند، عمرفاروق الطباع، دار الارقم ابن ابي الأرقم، ط1، بيروت لبنان 1418هـ –1998م ص33

نسخة الكترونية

[2]–شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، ط9، الناشر دار المعارف القاهرة مصر، 1976م ص 385

[3]– المرجع نفسه

[4]– ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ج1 ص 370

إذا استعـــــانوا بأقداح لها قيم على المدامة فلا ثم الذي قدحوا[1]

فهو يرى أن شربها يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والمنكرات وضياع عقل اللبيب .

و قـــــال أيضا :

وحرمت شرب الراح لاخوف سائط ولكنها ترمي بذي العقول بعقال[2]

ويهاجم الخمر بقوله :

هي الراح أهلا لطول الهجاء وإن خصها معشر بالمدح

فلا تعجبنك عروس الـــمدام ولا يطربنك مغن صـــــدح

ومن يـــفتقد لبه ساعـــــة فقد مات فيها بخطب فدح

قبيح بمـن عد بعض البحار تـــــغريقه نفسه في قدح[3]

3) قضية تـــناسخ الأرواح

اطلع أبو العلاء على ثقافة الهند من خلال ما ترجم ونقل إلى العربية، فعرف مذاهبها وتعرف على أصحابها ؛فمنهم من كان وثنيا يؤمن بالبوذية، ومنهم براهمة ينكرون النبوات، ودهريون لا يؤمنون بشيء سوى الدهر وسمنية لا يؤمنون بشيء سوى الحس، وكانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح إيمانا شديدا، بمعنى أن الأرواح تنتقل من جسد

[1]– ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج1 مصدر سبق ذكره ص 348

[2]– الدرعيات ص285

[3]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مرجع سبق ذكه ص 223

الى جسد ، تطلب الكمال ولا تزال تطلبه حتى تستوفي شرف ذاتها وتستغني عن الاتصال بالأبدان، و حينئذ يتحد العقل بالعاقل والمعقول فيصبحون جميعا شيئا واحدا[1]

وشاعرنا أبو العلاء رغم أنه يقر ببعض أشكال التناسخ إلا أنه يذهب إلى غير ما ذهب إليه المتصوفة قـــــال :

وجدنا أتباع الشرع حزما لذي النهى ومن جرب الأيـــــــام لم يذكر النسخا

فما بال هذا العصر ما فيه آيـــة من المسخ إن كانت يهود رأت مسخا

وقال بأحكام التناسخ معشـــر غلوا فأجازوا الفسخ في ذاك والـــــرسخا[2]

وقـــــال أيضا:

يقولون إن الجسم تنقل روحـــه إلى غيره حتى يهذبها التـــنقل

فلا تقبلن ما يخـــبرونك ضلـه إذا لم يؤيدها ما أتوك به العقل[3]

وقـــــال أيضا:

---

[1]– شوقي ضيف تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول ص 94و 95

التناسخ انواع : النسخ = انتقال الى صورة احسن

المسخ = انتقال الى صورة اسوا صيد الحيوان

الفسخ = انتقال الى جسد الحشرات

الرسخ = انواع النبات والحمار

[2]– ابو العلاء ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 225

[3]– ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ج2 ص 397

فلو صح التناسخ كنت موسى وكان أبوك إسحاق الذبيحا[1]

4)بعض القضايا المختلفة :

وأما عن فكرة التطهير التي ينادي بها بعض المتصوفة فإنه يرى أن تطهر كامل الأرض بما لحق بها من الدنس الإنساني لقوله :

الأرض للطوفان محـــــتاجة لعـــــلها من درن تغسل[2]

ومن مبادئ الصوفية الهيئات الخفية وهي الروح والنسمة والجسد المادي قال في الروح:

يفرق بين الروح والشخص حادث إلا أن أيام الفراق حـــــسوم

إلى العالم العلوي تزمع رحلـــــــة نفوس وتلقى في التراب جسوم[3]

وأما عن النسمة فإن الصوفيين يعتقدون بوجود هيئة خفية كالروح لكنها تختلف عنها تسمح للإدراك بالإنتقال الجغرافي مع بقاء الجسد في مكانه وربما كانت هي العقل والبصيرة التي وصل بها المعري حد النجوم والكواكب وأما عن الجسد المادي فإنه يختلف عن النفس التي تسمح له بإدراك العالم الفيزيائي المحيط به قال :

والجسم للروح مثل الربع تسكنه وما تقيم إذا ما خرب الجسد[4]

أما عن قضية السر والبوح فإنه لم يبح به و قال في ذلك :

---

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مرجع سبق ذكره ص89

[2]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مرجع سبق ذكره ج 2 ص 425

[3]– ابو العلاء المعري شرح اللزوميلت ج3 مرجع سبق ذكره ص 85

[4]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميلت مرجع سبق ذكره ص 238

ولدي سر ليس يـــمكن ذكره يخفى على البصراء وهو نهار[1]

بني زمني هل تعلمون سرائرا علمت ولـــكن بها غير بائح[2]

وعن المراتب الصوفية فـآثر أن يكون شيخا يقصده المريدون، حيث لم ينقطع عن العمل في عزلته، فقد كان حريصا على التأليف والتعليم ، فقد ألف كثيرا من الكتب والرسائل ونظم لزومياته، وكان منزله محجة لرواد العلم قال :

اعمل لدنياك شروى من يموت غدا وادأب لدنياك فعل الغابر الباقي[3]

لم تكن الفيوضات الصوفية ايهام وتجريد في الغيبيات بل كان الكون المحسوس الارضية التي استقى منها المعري هده الفيوضات، فكانت الطبيعة منطلق عرفانه فوظف بعض رموزها ليخترق بها عالم الحجب والتجاوز بها الى الحقيقة اللامتناهية .

لقد كان رمز الطير يمثل نظرة خاصة عند الصوفيين في رفرفته كالروح التي تحلق بين الجسد وعالمها المثالي الأول التي تحن اليه وتعشقه ، لقد وظف شعراء الصوفية الحمام الورق خاصة الذي يشير الى الروح التي تحن الى مصدرها النقي، فتشدو تارة وتبكي مرة أخرى، الشاهد الذي بعث في شاعرنا المعري بأن يستهل زنده بهذا الرمز في قصيدته التي مطلعها غير مجد في ملتي واعتقادي والتي ربما كانت نافذة العبور إلى لزومه ومحبسه قال :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شـــــــاد

---

[1]- المصدر نفسه ج 1 ص 335

[2]- المصدر نفسه ج 1 ص 218

[3]- ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ج 2 ص 1141

أبكت تلكم الحمامة أم غـــــ ـنت على فرق غصنها الميادِ[1] ؟

وعن الورقاء قال :

أغربانك السحم استقلت مع الضحى سوانح أم مرت حمائمك الورق ؟[2]

كما أن للغزال والظباء عند الصوفيين رمز مهم إذ يمثل النفس الإنسانية في شرودها، ويمثل الجمال الإلاهي الذي تسطع أنواره من جمال المرأة وجمال الشمس اللتين سميتا بالغزالة ،كما توحي دلالة الظبي للنفس التي تستعذب ما نهيت عنه من مكاره وشرور ومجاهدة لبعض ما أحل الله من الطيبات مثلها في ذلك مثل هذا الظبي الذي يستعذب الحنضل إذا رعى ... ويرد البحر ويشرب من مائه المر العلقم[3] وفي ذلك قال المعري:

ونفسك ظبية رتعت بقفر يراقب أخذها المغوار جعد [4]

ففي هذا البيت رمز للنفس بالظبية وللدنيا بالقفر أو الفلاة وللموت بالذئب الذي يغير دونما إعلام ,

كما رمز الصوفيون للنفس بالناقة والعيس والوجناء التي يركبها المريدون إلى مراتب المعرفة بالولاية وبالتالي فهي وسيلة سفرهم ألى الله تعالى، حيث تمثل صدق المعاناة والمجاهدة في عناء هذا السفر قال المعري :

وألقى الموت، لم تخذ المطايا بحاجاتي، ولم تجف الجياد [1]

---

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند ص 7

[2] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج3 ص 417

[3] – كمال الدين الدميري حياة الحيوان الكبري ص175

[4] ـ ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص246

قـــــــــال أيضا :

أعن وخذ القلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طلبت مالا

ولو أن المطي لها عقـــــول وجدك ، لم نشد بها عقالا

مواصلة بها رحلي، كأنـــي عن الدنيا ، أريد بها انفصالا[2]

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 80

[2] ـ المصدر نفسه ص 47-48

ج. الـــــرموز الطبيعية

تمثل عناصر الطبيعة من أهم مقومات القصيدة العربية غير أن استدعاءها على سبيل التشبيه والمحاكاة والتصوير تبقى صماء عديمة الحركة ما لم ينفخ فيها الشاعر الروح ويجعلها شخوصا قائمة بذاتها تؤدي أدوارا لها فاعليتها وشاعرنا أبو العلاء المعري متبحر في ثقافات الفرس والروم والهند وضليع باللغة العربية وأغوارها ما مكنه من استثمار عناصر الطبيعة واعتمدها بنية ملازمة لشعره ؛كان حضورها بكثافة تعبر عن تجربته الشعورية التشاؤمية النابعة من مفارقة التناقض بين الحرمان والتعويض بين الموت والحياة، يطمح من خلالها اثبات وجوده في زمن ذاع فيه صيت المتنبي وأبي العتاهية وتنكر له هذا الزمان وأهله، ليفرض لنفسه مكانة عالية على الأسوياء وهو القائل:

تعد ذنوبي عند قوم كثيـــــــــرة ولا ذنب لي إلا العلى والفواضل

كأني إذا طلت الزمان وأهلـــــــه رجعت وعندي للأنام طوائـــــل

وقد ساد ذكري في البلاد فمن لهـــم بإخفاء شمس ضوؤها متكامــل

وإني وإن كنت الأخير زمانـــــــــه فإني لآت بما لم تستطعه الأوائل[1]

ما جعله يبدع في توظيف رموز الطبيعة التي قامت على تعدد دلالاتها ووظيفتها فقد اجتمعت دلالة النجوم والكواكب بين الأسطورية والصوفية والطبيعية حيث تعبر دلالتها في هذا الاتجاه الأخير على نظرته إلى الرفعة والسمو على حاسديه وأقرانه في سقطه وأما في لزومياته فتعبر عن تذكيره بالله وحقارة الدنيا و وضاعة النفوس، وأما رموزه الحيوانية التي تنوعت بين أليفة ووحوش وطيور وزواحف، فإنها تعبر عن عدة قضايا

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 193

فلسفية كالموت والحياة التي تعد محور فكره الفلسفي إضافة إلى قضية القضاء والقدر والجبرية والحتمية قال في ذلك :

أغارت عليهم خيول الزمان كأن خيولهم لم تغر[1]

فهذا البيت يحمل العديد من الدلالات الرمزية إذ أنه ليس للزمان خيولا، وبالتالي فهو يقصد القضاء والقدر الذي يأتي فجاة، كما أن الخيول لا يمكنها أن تغير بملكها بل بأمر فارسها والإغارة تجمع بين الخير والغنيمة وجلب الشر على المغير عليه .

كما شبه الدنيا بالناقة التي جمعت بين الزينة والقوة والصمود والصبر على تحمل الشدائد قال في ذلك :

غدونا سائرين على وفـــــاز صحـــاة مثل شراب ثمال

على الـــفرسين لا فرسي رهان أو الجملين ليسا كالجمال[2]

فهو يرمز بأن الناس سائرون إلى الموت متجاهلين الأقدار، يشبه الليل والنهار بفرسين غير عاديين وشبه الجملين بما تحمله الأقدار من خير أو شر، كما وظف هذه الرموز أيضا للدلالة على الارتحال والحنين إلى الوطن (المعرة) قال:

سرى برق المعرة بعد وهن فبات برامة يصف الكلالا

بها كانت جيادهم مهـــارا وهم مردا وبزلهم فصالا[3]

وفي قصيدته المشهورة والموسومة بالعنوان "اسم الأمير فال" دليل على الرحلة يقول :

---

[1]- ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 438

[2]- ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 24

[3]- ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 51

أعن وخذ القلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طلبت مالا

ولو أن المـــــطي لها عقول وجدك لم نشد بـــــها عقالا

مواصلة بها رحـــــــلي كأنني عن الدنيا أريد بها انفصالا [1]

وفي نفس القصيدة نجده يستحضر دلالة الخيل من الموروث العربي وهي في ساحة الوغى قال :

فكأن سوابق حملته تغني عن الأقدار صونا وابتذالا

ولما لم يسابقهن شيء من الحيوان سابقن الظلالا

ترى أعطافها ترمي حميما كأجنحة البزاة نســـــالا

وقد ذابت بنار الحقد منها شكائمها فمازجت الروالا[2]

ولعله ربما كانت هذه القصيدة هي المفتاح الأول والأخير لسقط الزند والتي تعبر عن طموحه وقوته وعنفوان الشباب كما يجعل من هذا الرمز دلالة على الشيخوخة والوهن كما قال :

أراني وضعت السرد عني وعزني جوادي ولم ينهض الى الغزو أمثالي[3]

[1]– المصدر نفسه ص 47

[2]– المصدر السابق ص 48–49

[3]– ابو العلاء المعري الدرعيات ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 281

1) الرموز الطبيعية الحيوانية

- **رمزية الكلب**

يدل الكلب على الوفاء وفي بعض الأحيان يرمز له دلالة على الازدراء والوضاعة، وشاعرنا كانت له قصة في مجلس الشريف المرتضى، عومل معاملة الكلب، سحب من رجله ونعت بالكلب لا لشيء إلا لأنه قال قولة حق في المتنبي حيث قال: "لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:(لك يا منازل في القلوب منازل لكفاه فضلا [1]) ومن هذه الواقعة فتح على نفسه بابا من الحرب أفرط حاسدوه في تتبع آثاره، فمنهم من رماه بالإلحاد والزندقة، ومنهم من بث في شعره ما لم يقله أو دلس على الناس بما لم يقصده المعري فقال فيهم :

تعاطوا مكاني وقد فتهم فما أدركوا غير لمح البصر

وقد نبحوني وما هجتهم كما نبح الكلب ضوء القمر[2]

لا تحفلن هجوهم ومدحهم فإنما القوم أكلب نبـــــح[3]

دعوا وما فيهم زاك ولا أحد يخشى الإله فكانوا أكلبا نبحا[4]

يحاول الشاعر أن يجعل نفسه غير آبه لنعته بالكلب إلا أنه كان له وقعا شديدا على نفسه وآثر أن يرجع هذا الكيد على أصحابه واصفا إياهم بأسوء رمز في هذا المخلوق

---

[1]- ينظر عبد الفتاح كيليطو ابو العلاء المعري أو متاهات القول دار توبقال للنشرالدار البيضاء المغرب ،ط1 ،2000 م ،ص74- 75

[2]- ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 202

[3] - ابوالعلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 214

[4]- المصدر نفسه ص 215

وهي النباح، الشاهد في ذلك أنه ألف كتابا أسماه زجر النابح الذي يقال أنه ألفه على مضض منه بطلب من تلاميذه للرد على من استبشع اللزوميات[1]، قال في ذلك:

ليث النزال ولكن في منازله كلب على فضلات الزاد نباح[2]

وفي مواطن اخرى نجد أبا العلاء يصف كل بني آدم بالكلاب يتلاهفون على هذه الدنيا الحقيرة كقوله:

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة ونحن حولها الكلاب النوابح[3]

و قـــــال أيضا :

كلاب تعاوت أو تغاوت لجيفة وأحسبني أصبحت ألأمها كلبا[4]

استعمل الشاعر المفردة (نباح) للتعبير عن الشعور بالحزن والأسى من خلال هذا الوصف وما يتركه في النفوس من جراح، كما يوحي هذا الرمز بتعطل حاسة الرؤيا عند الشاعر وتوظيفه لحاسة السمع التي أقحمت نفسها من أجل دقة المعنى واختيار المراد من بين كل الوصوف التي يعرفها المعري الذي أفحم جالسيه على أن يأتوا بأربعين اسما للكلب من بيهم السيوطي الذي تدارك هالة الموقف وجعل يقلب دفاتر اللغة العربية من جديد[5] .

---

[1] – عبد الفتاح كيليطو متاهات القول مرجع سبق ذكره ص 76

[2] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سلق ذكره ص 212

[3] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 210

[4] – المصدرنفسه ص 91

[5] – عبد الفتاح كيليطو متاهات القول مرجع سبق ذكرهص 80 الى 82

- **رمزية الوحوش المفترسة**

عجت أشعار أبي العلاء بهذه الرموز والتي ربما دلت على شعوره بحالة القلق و المطاردة ،فغالبا ما يرمز لنفسه وممدوحيه بالأسد أو صفاته ويرمز لحساده بالضباع والذئاب كمثل قوله:

فإن الأسد تتبعها ذئـــــاب وغربان فمن عور وعـــــــــرج[1]

واحذر مقال الناس إنك بينها سرحان شان حين غاب رعاتها[2]

ياثلة في غفلة وأويسها القرني مثل أويسها أي الـــــــــذيبا[3]

يستحضر الشاعر مقولة " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" إذ يكيد له المكائد وهو في غفلة من أمره كمثل الذئب فضرب المثل بأويس القرني الذي يمثل ثلة الصالحين وضرب مثلا بأويس الذئب يظهر الصلاح والنسك بينما يضمر الشر لإخوانه قال :

فاترك ثعالب إنس في منازلها ودع ثعالب وحش تسكن الوجرا

ولا ثعالب في قيس ولا يمن إلا ثعالب دجن تنقض الويـرا[4]

وتبقى عنده صورة الأسد الحصن المنيف رمزا للقوة والشجاعة والمهابة يصف به نفسه وممدوحيه، ففي مقابلة بين قوة الأسد وضعف النملة التي تمثل الحكمة والتدبير يصف شجاعة وقوة أبي القاسم علي بن جلبات يمدحه قال :

---

[1] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 203

[2] – المصد نفسه ص 161

[3] – المصدر نفسه ص 132

[4] – المصد نفسه ص359

وهل يدخر الضرغام قوتا ليومه إذا ادخر النمل الطعام لعامه ؟

هزبر تظل الأسد من غر قومه تحف به من خلفه وأمامـه[1]

وفي قصيدته التي مطلعها" يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر" يرمز لممدوحه بالأسد لشدة قوته وبأسه قال:

فكم فريسة ضرغام ظفرت بها فحزتها وهي بين الناب والظفر

ماجت نمير فهاجت منك ذا لبد والليث أفتك أفعالا من النمر[2]

وهاهو يرمز لنفسه بالأسد في الشجاعة والقوة في اصطياد فريسته بينما تبقى الضعاف تطلب زادها من بقاياه بعد شبعه لقوله :

والذئب يسألنا الشراك ودونه طيان أشعث كالفقير البائس[3]

وفي قصيدته التي يرثي فيها أمه، التي مطلعها" سمعت نعيها صما صمام "، يرسم مشهدا طبيعيا يعد سحرا من الإعجاز وأبلغ من الحقيقة في الوصف والبيان، يذكر في هذا المشهد موت والده وهو ابن الرابعة عشر وكأنه يلتمس عزاءه فيه، والذي ربما لم يشعر باليتم ولا فقد والده إلا بنعي أمه التى تؤانسه وحدته وظلمته فأخذ يحاكي من وصوف الأسد أباه قائلا:

فصرفني فغيرني زمـــان سيعقبني بحذف وإدغـــام

ولا يشوي حساب الدهر ورد له ورد من الدم كالـــــمدام

[1] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 101

[2] – المصدر السابق ص60

[3] – المصدر نفسه ص192

يغنيه البعوض بكل غـــاب فريش بالجماجم واللمـــــام

تطوف بأرضه الأسد العوادي طواف الجيش بالملك الهمـام

وقال لعرسه بيتي ثلاثـــــا فليس لك في العرين من مقام[1]

فهذا الأسد الورد (أشقر اللون) والملك الهمام فكلها رموز على أبيه والذي قال لزوجته اللبؤة أقيمي عدتك وأنه لم يبق لك مقام مع الأحياء وأما رموزه الضب والحيات دلالة على تبدل الناس وانسلاخهم من طبائعهم وبث المكائد والسموم للغير.

[1] – المصدر نفسه ص41

2)رمزية الـــــطير

حضرت هذه الرموز بكثافة وتنوعت في شعر المعري، تطرقنا إلى رمز الحمام في الرمز الأسطوري وسنتناول بعضا من رموز الطير المستوحشة كالأتي :

- **رمزية الغراب**

اتخذت العرب هذا الرمز نذيرا للشؤم والتطير، فهو الشاهد على جريمة الإنسان الأولى على الأرض، كما جعل الإسلام هذا المخلوق من بين الحيوانات التي يؤمر بقتلها وذلك لإفساده في الحرث، وقد استوفى هذا الرمز حضوره في شعر المعري، حيث يعد من أهم العناصر التي رسمت الصورة الفنية للنظرة التشاؤمية في الحياة لشاعرنا باعتباره نذير شؤم وفال نحس ودليلا على الموت فالأحرى أن يستغله المعري في أن يكون نذيرا للغافلين، فلا يفرح امرؤ بشبابه لأنه سينقضي، إما بالمشيب أو بالموت الشاهد في قوله:

تخذ الغراب على المفارق موقعا ولقد علمت بأنه سيطار[1]

وقوله أيضا:

ولا أصيح بغربان الشباب قعى ولا أنادي غراب الرأس لا تطر[2]

لا تفرحن بفأل إن سمعت به ولا تطير إذ ما ناعب نعبا[3]

وقال يرثي الشريف أبا أحمد الموسوي :

---

[1] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 326

[2] – المصدر نفسه ص 387

[3] – المصدر نفسه ص 95

طار النواعب يوم فاد نواعيا فندبنه لموافق ومناف

ونعيبها كنحيبه او حدادهـــا أبدا سواد قوادم وخواف

عقرت ركائبك ابن دأيـة غاديا أي امرئ نطق وأي قواف

بنيت على الإيطاء سالمة من الـ إقواء واللإكفاء والإصراف

حسدته ملبسه البزاة ومن لـها لما نعاه لها بلبس غداف

والطير أغربة عليه بأسرها فثخ السراة وساكنات لصاف[1]

فقد استحضر الشاعر هذا الرمز شاهدا على الحزن و الحداد ذاكرا كل الصفات التي تميز بها هذا الرمز عن سائر الطيور كابن دأية وهو اسم للغراب حيث يقع على دأية البعير فينقرها، وكذلك النواعب فهو اسم جمع للغربان وكذلك العكاف فهو الغراب الاسود و الشاعر حريص على أن لا يسقط خاصية من خواص هذا الرمز في قوله أي قواف سليمة فصوته واحد لا يتغير حتى في تعشيره[2] قال في ذلك:

وما أسر لتعشير الغراب أسى ولا أبكي خليطا خل تعشارا[3]

لم تكن عاهة العمى حائلا بين الشاعر وهذا الرمز في أن يرى مدى تطابق المثل الشعبي القائل بأن الغراب أراد أن يقلد الحمامة في مشيتها فنسي مشيه مع حقيقة هذا الرمز الطبيعية وكأنه متاثر بضيق ذي العاهة أمام الناس ومدى سخريتهم وقبحهم اتجاهه فقال:

[1] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 33

[2] – تعشير الغراب : ان يصبح عشر مرات (ديوان اللزوميات ص363)

[3] – المرجع نفسه ص363

أعيرت غيرك داء عـــــــراه وخالقك الواهب المجزل ؟

وقد عاش ما ساء حذا الغراب فما قالت الطير يا أقزل[1]

و قال أيضا :

إن الغراب ولم يوجد أخو قدم أصح منه تعاني رجله قزلا[2]

[1]– ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ج2 ص433

[2]– المصدر نفسه ج 2 ص 439

- **رمزية القطا**

يقال لها أم الثلاث (البيض) وأم الجوازل (الفراخ) وسميت قطا بحكاية صوتها فإنها تقول ذلك، ولذلك تصفها العرب بالصدق، وتوصف القطا بالهداية والعرب تضرب بها المثل في ذلك، لأنها تبيض في القفر وتسقي أولادها من البعد في الليل والنهار، فتجيء في الليلة المظلمة وفي حواصلها الماء، فإذا صارت حيال أولادها صاحت قطا قطا، وقالوا في الأمثال أنسب من قطا[1]. وفي ذلك قال المعري يمجد ممدوحه ويثني على نسبه الشريف وامتداد الفضل من أجداده :

عرفت جدودك إذا نطقت وطالما لغط القطا فأبان عن أنسابه[2]

وقال أيضا:

سبح لله ناعب صوته غاق وكدرية تصيح قطا[3]

وكثيرا ما ربط رمز القطا بالورد والماء القليل دلالة على البيئة الصحراوية التي يعيش فيها هذا المخلوق والذي يدل على ولع الشاعر بالبادية الصحراوية رمزا على الانتساب العربي وانحدار شعره من سليله العربي وكأنه إشارة إلى عدم حياده عن البناء الفني للقصيدة العربية شكلا ومضمونا، ويدل هذا الرمز على حالة القلق والمطاردة، باعتباره كائنا مطاردا دائم الاحساس بالخطر، مما يحول حياته إلى كابوس مستمر في النوم واليقظة فالقلق يحرم الكائن من لذة الاستمتاع بها، وفي ذلك قال:

[1] – كمال الدين محمد الدميري حياه الحيوان مرجع سبق ذكره ص 142

[2] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 126

[3] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 2 مصدر سبق ذكره ص 321

فما رغبت في الموت كدر مسيرها إلى الورد خمس ثم يشربن من أجن[1]

ويقول أيضا :

تلـــوذ بنا القـــــطا مستجـديات لما ضمنت من المـــاء المزاد

يكـدن يردن مـن حـــدق المـــطايا مـــوارد مـــاؤها أبدا ثمـــاد[2]

[1] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص15

[2]– المصدر السابق ص 82

- **رمزية النـــــعام:**

تسمى قلوصا لتشابهها مع الإبل، "إذا انكسرت أحد أرجلها لا تقوى على النهوض حتى تهلك جوعا ،ليس لها حاسة السمع بل عنده حاسة الشم قوية، قوية على الصبر على الماء، يشتد عدوها إذا قابلت الريح"[1]، يعيش هذا المخلوق في الصحراء والبراري ففي عدم شعورها بالأمان إشارة على روح الشاعر المسالمة لكنه مضيق عليه غير شاعر بالأمان قال:

متى ما تشاهد نعمة كـــــنعامة مطردة ترتع بـــــإلف ظليم

ويخشى عذابا في الممات وإننا لأهل عذاب في الحياة أليم[2]

وقال أيضا:

سمام أفاع و اهتـــــضام خوادر وختل ذئاب في حـــلوم نعام[3]

ويضرب بالنعام في عدم التفكير والتبصر رمزا لأقوام من الناس لجهلهم بالدين ومجانبتهم للحقيقة مع وضوحها قال في ذلك :

ما لأقوام وجدتهم من جهلهم بالدين أشباه النـــــعام أو النعم

فمجادل وصل الجدال وقد درى أن الحقيقة فيه ليس كما زعم[4]

---

[1] – كمال الدين محمد الدميري حياه الحيوان الكبرى مرجع سبق ذكره ص 159

[2] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 3 مصدر سبق ذكره ص 146

[3] –– المصدر نفسه ج 3 ص150

[4] ––المصدر نفسه ج 3 ص185

كما يضفي الشاعر هذا الرمز على بعض شعراء التكسب ويخرج نفسه من دائرتهم ويضرب بهم المثل برعي النعام واستعذاب أكل حب الحنظل قال:

كأن ذوي التنعم في البرايا نعام راح يلتقط الهبيذا[1]

[1] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج1 مصدر سبق ذكره ص154

الهبيذا = حب الحنظل

- **رمزية الطيور الجارحة**

تتميز اللغة العربية عن باقي اللغات بتعدد أسماء الأشياء بحسب صفاتها ومدلولاتها واشتقاقاتها، وشاعرنا حريص على تسمية الأشياء بمسمياتها وتوظيف الألفاظ في محالها حسبما جرت به عادة العرب؛ الشاهد أننا نجده وظف هذه الرموز في مظانها والتي سيتم إدراجها كالاتي :

❖ **البازي :**

أشد الحيوانات تكبرا وأضيقها خلقا، مشتق من البزوان وهو الوثوب، هذه الصفة التي أسقطها شاعرنا على رموزه[1] ففي قصيدته التي مطلعها" ألا تتقون الله رهط مسلم " يحذر فيها الناس من أن يسودهم مستبد غوي فيتسلط عليهم تسلط البازي على القطا قال :

فلا تجعلوا فيها الغوي مسلطا كما سلط البازي على القطوات[2]

ويرمز لشدة طول ظلمة الليل عليه بقوله:

بالله يادهر أذق غـــــرابه موتا من الصبح بباز كرز[3]

وفي وصفه للخيل وهي تعدو في ساحة الوغى ،كأنها هذا الطائر القوي الذي يتطاير منه الريش أثناء الهجوم قال:

ترى أعطافها ترمي حميما كأجنحة البزاة ترمي نسالا[1]

[1] – كمال الدين محمد الدميري حياة الحيوان الكبرى مرجع سبق ذكره ص 26

[2] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 172

[3] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 206

ومن شيمة هذا الطائر صفة الكبرياء التي يوظفها المعري على شباب الإنسان وطول أمله وإعجابه بقوته في هذه المرحلة مثله كمثل البزاة حتى يقع هرما يقول:

وما زلـــــت بعد غراب الصـــبا قـــــــرين البزاة فقع يا لبد[2]

❖ **الصقر**

أحد الجوارح الأربعة وتنعت بالسباع، والعرب تسمي كل طائر يصيد صقرا، وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن إلفا وأشد إقداما ومزاجه أبرد، لايشرب الماء ولو أقام دهرا ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم[3] قال المعري:

فما رغبت في الموت كدر مسيرها إلى الورد خمس لم يشربن من أجن

يصادفن صقرا كل يوم وليلـــة ويلقين شرا من مخالبه الحجـــن[4]

و قال أيضا:

وإن لم تر الصقر الحمامة دهرها فمن شيم الورق الحذار من الصقر[5]

فهو يرمز للموت المترصد للأحياء كل يوم وليلة ترصد الصقر للقطا والحمام . كما يوظف المعري هذا الرمز في رده على الشيعة الذين يزعمون أن إمامهم المنتظر سيملأ

---

[1] – المصدر نفسه ص 48

[2] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 2 مصدر سبق ذكره ص 29

[3] – كمال الدين محمد الدميري حياة الحيوان مرجع سبق ذكره ص 100

[4] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 15

[5] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 2 مصدر سبق ذكره ص 81

الأرض عدلا حتى تأمن الأرنب (الدرماء) من سطوة الصقر كما أمن امرؤ القيس عندما استجار بعمر بن درماء[1] .

قـــــال :

يقال إن زمانا يستقيد لهـــم حتى يبدل من بؤسى بنعمـــــاء

ويوجد الصقر في الردماء معتقدا رأي امرئ القيس في عمر بن درماء

ولست أحسب هذا كائنا أبدا فابغ الورود لنفس ذات إضمـــاء [2]

❖ **النسر**

هو عريف الطير، وسمي نسرا لأنه ينسر(ينتف) اللحم ويبتلعه، يقال أنه أطول الطيور عمرا وأشدها طيرانا وأقواها تخافه كل الجوارح، اذا تقدم الى الفريسة تهاب كل الجوارح التقدم منها مادام يأكل منها، وهو من أشد الطير حزنا على فراق إلفه حتى ما إذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا وكمدا[3] كما يسمى الأكدر والأجدل والأخيل[4] .

اقتبس الشاعر من هذا الرمز صفة طول أعمارها ووظفها على رموزه يقول :

قدم الزمان وعمره إن قسته فلديه أعمار النسور قصار[5]

وقال أيضا :

---

[1] – المصدر نفسه ج1 ص 82

[2] ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 57

[3] – كمال الدين محمد الدميري حياة الحيوان مرجع سبق ذكره ص157

[4] – المرجع نفسه ص 100

[5] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 2مصدر سبق ذكره ص 97

هبيني عشت عمر النسر فيها وكان الموت آخر ما لقيت[1]

وقال في الموت يصفه كأنه النسر مستخدما أحد أسمائه

ياساكن اللحد عرفـــ ـني الحمام وإربـــــه

ولا تظن فـــــــــإني مالي بذلك دربـــــه

يكر في الناس كالأجـــ ـدل المعاود سربـــه[2]

و قال أيضا :

والملك يفنى ولا يبقى لمالكه أودى ابن عاد وأودى نسره لبد[3]

واقتبس الشاعر هذا الرمز "النسر اللبد" من الأسطورة التي تزعم فيها العرب أنه من طيور لقمان السبع الأسطورية، حينما خير بين السبع بعرات (بقرات من ضباء عفر) وسبع نسور؛ فكلما هلك نسر خلفه آخر وقد ذكره الشعراء وأكثروا من ذكره لطول عمره[4] .

[1] –المصدر نفسه ج 1 ص 241

[2] – المصدر نفسه ج 2 ص 159

[3] – المصدر نفسه ج 1 ص 404

[4] – المصدر السابق

❖ **العقاب**

تضرب العرب المثل في هذا الرمز فتقول: "أبصر من عقاب "و العقاب جميعها إناث حسب ابن خلكان وهي أشد الجوارح حرارة و أقواها حركة و أيبسها مزاجا، تأكل الحيات الا رؤوسها والطيور الا قلوبها[1].

يقول المعري في قصيدته التي مطلعها "أدنى الفوارس من يغير لمغنم " يثني على ممدوحه ويصف خيله التي وطئت وكر العقاب وفرخها الأعصم المبالغ في علوه قمم الجبال الشامخة:

هذا وكم جبل عصاها أهلـــــه فهوت عليه مع الطيور الحوم

وأجازها قذفات كل منيـــــعة وكر العقاب بها وبيت الأعصم

فوطئن أوكار الأنوق وروعت منها وبات المهر ضيف الهيثم [2]

وقال أيضا:

تستاثر العقبان في جوها وتنزل الأعصم من فنده[3]

---

[1] – كمال الدين محمد الدميري حياة الحيوان مرجع سبق ذكره ص121

[2] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 86

قذقات = رؤوس الاجيال

الاعصم = الوعل

الانوق =الرخم لا تبيض في رؤوس الجبال

الهيثم =فرخ العقاب

[3] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 25

فالشاعر في هذا البيت يذكر ويحذر من حتمية الموت على كل حي ولوكان محله محل العقاب في المعالي

3) الرموز الطبيعية المختلفة:

- **رمزية الريح:**

من الرموز التي تدل على القوة والاضطراب والقلق، كما تدل على التدمير والتغيير والتي وردت دلالتها في القرآن الكريم على العذاب لقوله تعالى:" ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ "[1].

وفي المقابل ما جمعت الرياح الا حملت الخير لقوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ "[2].

وللريح في شعر العرب حضور كثيف إذ تحمل رسائل المشتاق ذي اللوعة والبين والفراق ،أما عند شاعرنا تحمل رمزية الاضطراب والقلق لتقلبها وتعدد اتجاهاتها، كما حملت عنده رمز الحنين والشوق الذي تجلى في قوله :

وهاجته الجنوب لوصل حي أقـــــام ويمموا دارا طروحا

سفاه لوعة النـجدي لمـــا تنسم من جبال الشام ريحا[3]

و قال أيضا:

مني إليك مع الريح تحـــــــية مشفوعة ومع الوميض رسول[4]

يكاد نسيم الريح من نحو أرضه يخـــــبرنا عن وجده وغرامه[1]

---

[1] – سورة الحاقة الاية 6

[2] – سورة الحجر الاية 22

[3] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 74

[4] . المصدر نفسه ص 141

كما كانت الريح عند المعري معادلا للتحول والتغيير الذي تجلى في قوله :

وتكون كالورق الذنوب على الـفتى ومصابه ريح تهب لجتها[2]

و قال أيضا :

ولو أن الريـــــــــــاح تهب غربا وقـلت لـها هلا هببت شمالا[3]

فريح الشمال ريح العواصف والقوة والقهر والهموم التي قسمت مشاعر أبي العلاء ففي قوله :

خاف غدر الأنام فاستودع الريـ ـح سليلا تغدوه دار العهاد[4]

فقد استحضر قصة سيدنا سليمان الذي استودع الريح ابنه خوفا عليه من الموت وغدر الدنيا فرمز بهذا الرمز على نفسه حيث أنه هو سليل سليمان التنوخي الذي لم تحفظه الأيام من غدر الأنام والدنيا كما فعلت بولد سيدنا سليمان .

ويعبر عن الموت واجتياحها لكل كائن بالريح رمزا للقوة والتدمير قال:

ومزيرها العور الذي سلمت ريح على أرجائها لم تسلم[5]

لو كان قدسا ثم هبت ريحها بهضبات لم يبق فيه وقار[6]

---

[1] – المصدر نفسه ص 101

[2]– المصدرنفسه ص 30

[3] . المصدر نفسه ص 53

[4] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 10

[5] – المصدر نفسه ص85

[6]– ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 336

كما يوظف المعري رمز الريح في تعذر وصالها بين المشتاقين رغم لطافتها وسريانها كمثل المياه المتغلغلة بين الأشجارفهي تهاب شوك القتاد وهذاوصف مبالغ فيه دلالة على رمزية شدة غل الحاقدين القائمين على بينه بأحبته وذلك نلمسه في قوله:

ومن غلل تحيد الريح عنه مخـــــــافة أن يمزقها القتاد[1]

[1] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 83

- **رمزية الماء والسراب**

الماء في التراث الديني والأدبي تيمة عميقة الدلالة فهو المحور الذي تقوم عليه الحياة لقوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾"[1] .

وقوله أيضا :﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآء مَّهِينٍ﴾ " [2].

يدل الماء على الخصـــوبة والحيـــــاة والنمـــــاء وشاعرنا أبو العلاء لـــــه موقف ضد لهذه القضية التي يحرم فيها النسل والزواج والتي التزم فيها عملا وقولا تجلى في بيته الذي قال فيه :

هذا ما جناه عليا أبي وما جنيت على أحد[3]

ومن شدة تشكيه من حرمانه الوصال بالناس لنفاقهم و عدم أهليتهم بالثقة يجعل من رمز الماء كأنه الرابط بينهم إلا أنه لايستفيد من هذه الرابطة لسمو روحه وتعاليه، مثله في ذلك مثل السحاب (الدجن) الذي يتكون تحت الكواكب التي فيها منزلة الشاعر وبالتالي فهو لايستفيد من قليله ولا كثيره قال في ذلك :

أفوق البدر يوضع لي مهاد أم الجوزاء تحت يدي وساد؟

كأني حين ينشأ الدجن تحتي فما أنا لا أظل ولا أجـــاد[4]

---

[1] – سورة الانبياء الاية 30

[2] – المرسلات الاية 20

[3] – احمد تيمور باشا ، ابو العلاء المعري ،نشر مؤسسة هنداوي ببتعليم والثقافة ،القاهرة مصر ،2012، ص 22

[4] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 80

وفي المقابل لقلة الماء وشحه فإن طغيانه دلالة على الغضب والدمار والعذاب لقوله تعالى:"﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] ".

تغنى الشعراء كثيرا بالماء وهاموا في وصف جداوله وأنهاره وبحاره باعتباره عنصر الطبيعة الأساس وعنصرا من عناصر الجمال، أما ابو العلاء فكلما ذكر الماء في شعره إلا وجعله مع قرينة ملازمة وهي النزر اليسير الذي يبقيه على قيد الحياة، فلا يكاد مورده وسقاه يخرج عن الماء الكدر أو ماء المزاد او الثماد التي ترتاده بعض الحيوانات الخاصة التي وظفها الشاعر والتي تحاكيه في تمنعها عن الماء وطول صبرها على العطش، كمثل الضب والنعام والإبل وبعض أصناف الطيور والأفاعي، فهذا الحشد المتداخل من الرموز المتفاعلة فيما بينها لا يوحي إلا بالخلفية التي تعيش فيها وهي البيئة الصحراوية، التي ترمز إلى قساوة الحياة والمعاناة في العيش والمحن والخوف من المجهول والتعطش للحياة وهذا ماعبر عليه في أبياته الآتية:

وللماء الفضـــــــيلة كل حين ولا سيمـــــا اذا اشتد الأوار[2]

يردن دماء الروم وهي غريضة ويتركن ورد الماء وهو زلال[3]

وإذا الــبحر غاض غنى ولم أر و فلا ري بـــــادخار الثماد[4]

---

[1] –سورة هود الاية 44

[2] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 133

[3] – المصدر نفسه ص 149

[4] – المصدر نفسه ص 12

كما ينصح الشاعر طالب الدنيا أنه لن يكون حظه منها إلا كمثل الماء الثماد (القليل) في قوله:

وتركب اللج تبغي أن تفيد غنى وتقطع الأرض لا تلفي بها ثمدا[1]

أو يكون جريه فيها كمن يجري خلف السراب لقوله :

دنياك مشبهة السراب فلا تزل برزين حلمك موشكا خدعاتها[2]

و قال أيضا:

تنافس في الحطام وحسب شاك طوى قوت وحلف صدى شراب

وأمـــــلاك تبحر في غناهـــا وإن ورد العفاة فهم ســـــراب[3]

[1] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج 1مصدر سبق ذكره ص 449

[2] – المصدر نفسه ج 1 ص 245

[3]– المصدر نفسه ج 1 ص 119

4) الرمزية الطبيعية الكواكب والنجوم:

تعلقت حياة الإنسان بحركة النجوم والكواكب لما لها من أهمية كبرى في معاشه و هدايته في حله وترحاله لقوله تعالى:"﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]، وقد وجد العرب في بيئتهم من صفاء الأفق وانبساط الأرض، تجلي معظم الكواكب والنجوم، غير أن واقعهم الفكري لم يتجاوز حقيقة الأشياء التي كشفها العلم الصحيح بعد مجيء الإسلام فنسجوا حولها الأساطير وألهوها وقدسوها، وطلبوا منها المطر والولد قال تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾[2] ".

وقد حمل الشعراء لواء هذا الاهتمام فكانت حاضرة في أشعارهم بحسب وقعها في نفوسهم وخيالهم فأسقطوا عليها مظاهر الحياة والتشخيص؛ فاختلف توظيفها بين محاكاة لتوظيف القديم وتوليد الجديد من الدلالات والصور والمعاني ولا سيما في العصر العباسي، الذي انفتحت مظاهر الحياة فيه على حضارات الأمم المجاورة والغابرة في طيات التاريخ التي كان لها الفضل على شاعرنا الذي نهل منها مؤلفات أفلاطون وأرسطو وباطليموس علاوة على موروث أجداده القرآن الكريم وما حوى من ذكر للكواكب وإشارات للسماء ومافيها وفي ذلك قال:

هذي الكواكب للمليك شواهد منها الخفي لناظر والنير[3]

وجد المعري في الكواكب الشخوص التي بإمكانها أن تخلق الحركة والحياة في شعره فاقتبس منها دلالاتها ومواردها وخلفياتها الأسطورية فتتولد منها الصورة الفنية في شعره ،حيث جعلها تتداخل وتتفاعل مع بعضها بانتظام كمثل حقيقتها في الوجود، وقد

[1]– سورة النجم الاية 16

[2] – سورة نوح الاية 23

[3] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مرجع سبق ذكره ص 321

كانت هذه الرموز حاضرة بكثافة شديدة في شعره والتي يغني ذكر بعض المهم منها عن بقيتها حسب البيان الآتي:

- **رمزية الشمس:**

تحمل الشمس عدة دلالات في معاجم اللغة العربية ، تشير إلى التلون وقلة الاستقرار، وهي أيضا ضرب من القلائد وهو معلوق القلادة في العنق، وقيل الشمس مشطة للنساء، وبنو الشموس بطن من بطون قريش وشمس صنم كان لبني تميم .

وللشمس مرادفات كثيرة في اللغة منها الجوناء والجونة . ذكاء . العين . حناذ . الصعقاء السراج . الشرق . الشريف . الغورة . العجوز . البتراء . الغزالة . الجارية . الضحى . البراح[1] .

وحسب ما نص عليه القرآن الكريم فإن الشمس عبدت في الجزيرة العربية منذ أيام النبي إبراهيم عليه السلام وأطلقوا عليها صفات " ذات حمم " أو ذات الحمى المقدس وهي ترادف حمى أو آل حمو أو بعل حمون إله الشمس ذات الحرارة الخانقة وهي "ذت بردن" أي البارة و" ذات رحبن "أي ذات الرحاب ... وكل هذه من الأسماء الدينية وقد جعلوا لها رموزا مقدسة؛ فالمرأة و الحصان و المهاة و الغزالة و النخلة وجوه متعددة لها، أما صنمها فهو اللات (لت أو هلت) وتسمى الربة او الإلاهة[2] وقد وضع رسمها في المحاريب وصورت بصورة امراة حسناء عارية وكانت تشبه بالديك عند المجوس[3]

---

[1] – ياسر عبد الحبيب رضوان ،الشمس في شعر المعري شبكة الالوكة قسم الكتب نسخة اليكترونية www.alukah.net ص 3

[2] – علي البطل الصورة في الشعر العربي حتي اخر القرن الهجري دراسة في اصولها وتطورها دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط 2–1401هـ–1981م ص 44 مرجع سبق ذكره

[3] –حسن عبد عودة حميدي الخاقاني الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي اطروحة دكتوراه في الادب اشراف علي كاظم اسد كلية الاداب جامعة الكوفة (مدونةرياض حمزة)1427هـ ص209

كما جعلوا الغزالة تجسيدا أرضيا للإلاهة الشمس وخلعواعليها هالة قدسية حرم قنصها أو صيدها[1].

أما الشمس عند المعري، فقد انتهج مبدأ سابقيه من الشعراء في استثمارها في غزله في تصوير جمال النساء وحسنهن بالشمس واسمائها كما فعل الشعراء من قبله قال :

لعل نـــــواها أن تريع شطونهـــــا وأن تتجلى عن شموس دجونها

بنا من هوى سعدى البخيلة كاسمها إذا زايلته عين سعدى وسينهـا[2]

و قال أيضا:

تحلى النقا درين دمعا ولؤلؤا وولت أصيلا وهي كالشمس معطال[3]

و قال :

حي من أجل أهلهن الديـــــارا وابك هندا لا النوي والأحجارا

هي قالت لما رأت شيب رأسي وأرادت تـــــــــــنكرا وازورارا

أنا بدر وقد بدأ الصبح في رأ سك والصبح يطرد الأقـــمارا

لست بدرا وإنما أنت شمـــس لا ترى في الدجى وتبدو نـهارا[4]

---

[1] – يسري اسماعيل ابراهيم و مروة سالم ثيت الاثر الاسطوري في مراثي ابي العلاء المعري ديوان سقط الزند انموذجا مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية مجلة 15 ع 2018/1 ص 640

[2] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص889

[3] – المصدر نفسه ص 230

[4] – المصدر نفسه ص 207

وكذلك في فخره فقد استدعى صورة الشمس في الضياء والنور والقوة والإشعاع على الخلائق قال:

جمال المجد أن يثنى علـــيه ولو لا الشمس ما حسن النهار[1]

وقال أيضا :

وهل يدعي الليل الدجوجي أنه يضيء ضياء الشمس شهب ظلامه[2]

ومن شدة تعاليه وفخره بنفسه يجعل نفسه مقام الشمس قال:

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوؤها متكامل[3]

وفي رثائه لأبيه إبراهيم العلوي قال :

نعيناه حتى للغــزالة والســهى فكل تمنى لو فداه من الحتم[4]

وأما في لزومياته فغالبا ما يوظف الشمس في سياق الحكمة كمثل قوله :

إذا ما حبال الناس عادت بواليا فإن حبال الشمس غير بوال[5]

و قال ناصحا :

إذا كـــانت لك امرأة عجـــــوز فلا تأخذ بها أبدا كـــــعابا

---

[1] – ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 133

[2] . المصدر نفسه ص 102

[3] – المصدر نفسه ص 193

[4] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص22

[5] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 5

وحسن الشمس في الأيام باق وإن مجت من الكبر اللعابا[1]

[1] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره 103

- **رمزية القمر الأسطورية**

لعب القمر دورا هاما في الأساطير الدينية عند الجاهليين، فقد سمي بالثور بسبب قرنيه عندما يكون هلالا عند الساميين، وعرف بأنه الإله الذكر من دون الآلهة الأخرى فنعت بعدة صفات منها " أبم ، دم ،ود ،كلهن ، سمعم، ذمر، شهر، سين والمقه".

فالقمر بمنازله المتغيرة قد ارتبط منذ زمن بعيد بطقوس الزراعة والخصب واستنزال المطر، فرأوا في الهلال كقرون الثور الذي فيه قوة الإخصاب، ودلالة قوته وقدرته، كما يدل قرناه على الإقتتال والحرب[1] .

استثمر الشعراء هذا الرمز الأسطوري في غزلهم ومدحهم ومراثيهم، فشبهت المرأة في جمالها بجمال القمر في اكتماله "بدرا" .

وشاعرنا المعري دقيق الوصف، تتبع القمر في مراحل تطوره الثلاثة أي من بدايته هلالا، فتوسطه واكتماله بدرا وختامه وتتمته محاقا، ذلك وإن دل على شيء فإنه يدل على المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته طفلا فشابا ثم شيخا الشاهد قوله :

والبدر يكمل والمحـــاق مآله وكذا الأهـــلة عقـــبها الإبدار[2]

وفي قوله :

كأن هلالا لاح للـــطعن فيهم حناه الردى وهو السنان المجرب

كأن ضياء الفجر سيف يسله عليهم صبـــــاحا بالمنايا مذرب[3]

[1] – ينظر سعد عبود سمار قدسية النور عند العرب قبل الاسلام ومتماثلاتها في الشرق الاردني القديم مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة واسط العراق العدد35 ايار 2019ص 216

[2] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ج 1 ص305

[3] – ابو العلاء المعري شرح ا للزوميات مصدر سبق ذكره ج 1 ص108

فهو يرمز بقرني الهلال للقوة والقتال والحرب إلا أن هذه القوة سيهزمها الموت الذي يصفه بالرمح الحاد وغالبا ما يغالي الشعراء في وصوف ممدوحيهم بالبدور والأقمار إلا أن شاعرنا في توظيفه لهذا الرمز فإنه حاول أن يخترق هذه الصورة البائدة الصماء حيث أن البدر لا يدوم إلا ليلتين أو ثلاث في منتصف الشهر ثم يبدأ بالتناقص وذلك من خلال جمع منزلتي القمر بدرا وهلالا لممدوحه كمثل قوله :

فلا زلت بدرا كاملا في ضياءه على أنه عند التـــــمام هلال[1]

[1] – ابو العلاء المعري شرح ا للزوميات مصدر سبق ذكره ج 2ص 31

- **رمزية النجم سهيل**

النجم سهيل ثاني النجوم لمعانا، تعلقت به العرب في الجاهلية كباقي النجوم، وله حضور وافر في أشعارهم وأمثلتهم، وكان أحد أسس علومهم وحساباتهم الفلكية والمناخية، منحوه هالة من التقديس والعبادة ويستبشرون به أفضل مواسمهم وسموا به ذكرانهم, نسجوا حوله الأساطير فقالوا: إنه كان أخا للشعرى والغميصاء، وفي بعض الأقوال أنه زوج لهما، وجاء في بعض الأقوال أنه كان عشارا ظالما على طريق اليمن؛ فمسخه الله كوكبا، ومن الأساطير التي وردت فيه أيضا: اذا طلع سهيل ورآه البعير مات ، أو لأنه إذا طلع بسحر فصلت عن النوق الأولاد، وكثر فيها الموت

حتى قيل: "إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وكان للحوار الويل "[1]. ومن هذا المثل اشتق المعري بيته الذي قال فيه :

لا تحسبي إبلي سهيلا طالعا بالشام فالمرئي شعلة قابس[2]

كما يرمز الشاعر لوحدته وعزلته الناس بالنجم سهيل في تفرده وابتعاده عن النجوم وذلك في قوله :

لا توحش الوحدة أصحابها إن سهيلا وحده فـــــارد

وكم ترى في الأفق من كوكب يعظم أن يرمى به المارد[3]

كما نجد الشاعر يوظف المشترك اللفظي بكثافة من أجل تفاعل الرموز وتكاملها في إثراء وإغناء الصورة الفنية في أن يتضمن شعره بعض الحوادث والقصص والأبطال

[1] – التبريزي وآخرون شروح سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 405

[2] – المصدر نفسه ص405

[3] – ابو العلاء المعري شرح اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 438

وربما يهدف من وراءه أن يتعدى أن يكون شعره كتابا في اللغة كما ذهب النقاد بل ليكون موسوعة تضم التاريخ والعبر كيف لا وهو القائل :بأني لآتي بما لم تستطعه الأوائل، الشاهد في قوله :

فهل لسهيل في معدك ناصر إذا أسلمته للحوادث يعرب[1]

حيث يعرض قصة سهيل بن عبد الرحمن بن عوف مفاوض النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد العمرة في السنة السادسة للهجرة، فلما أقبل المسلمون عند فتح مكة خاف على نفسه فابتعث إبنه إلى النبي (ص) يستأمن على نفسه، وأسقط هذه القصة على النجم سهيل الذي تطلبه بنات نعش حسب الأسطورة القائله بأنه قتل أباهم، وأما الدلالة الرمزية في هذا البيت أن المقصود بسهيل هو الشاعر نفسه ويعرب هم حسادهالذين حاولوا أن يسلموه بمكائدهم للسلطان وأن الإنسان مهما توارى وأمن على نفسه فإنه مطلوب الردى.

إن المعري قدير بأن يجعل الصورة الصماء تنطق، فالشاهد الذي أغنى رموزه الطبيعية عن التعبير ما قاله في رثاء الشريف الموسوي وبراعته في استحضار الرموز الطبيعية وهي تنعاه وتبكيه في قوله :

رغت الرعود وتلك هـــدة واجب جبل هوى في آل مناف

بخلت فـــلما كانـــت ليلة فقده سمح الغمام بدمعه الذراف

ويقـــال إن البحر غاض وإنها ستعود سيفا لجة الرجاف[2]

[1] . المصدر نفسه ص 109

[2]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص31

فهو في وصفه لليلة التي توفي فيها مرثيه وما كان فيها من رعود وأمطار واضطراب البحر ورغاء للإبل التي لا ترغ إلا لهالة الخطب؛ وبراعته في حبكة هذه الصورة الفنية في إضفاء رغاء الإبل على الرعود كأن لها التأثير في رسم صورة حية في خيال المتلقي .

د. الرموز الأدبية

الأدب رافد مهم ينهل منه اللاحقون من الذين سبقوهم وبالتالي فهو إرث تتوارثه الأجيال وهو ذخيرة يحتاجه المنشغلون بهذا النوع من الفنون ويرتوي من نهره المتعطشون، وشاعرنا أبو العلاء المعري كانت له بصمة على هذه الصفحات إذ نجده استحضر رموزا من الأدباء وأهل اللغة ممن كانت لهم صولة أو جولة، ويسقط دلالة هذه الرموز على سبيل المحاكاة أو الإستعارة أو الكناية على رموزه؛ مثل ذلك ما رثى به الفقيه الحنفي بقصيدته الموسومة بالعنوان"ضجعة الموت رقدة" قال:

وفقيها أفكـــــــــاره شدن للنعمـ ـمان ما لم يشده شعر زياد[1]

ففي هذا البيت يقصد بزياد النابغة الذبياني الذي ملأ الدنيا شعره الذي تميز به ليكون في طليعة طبقات الفحول حيث كان أوضحهم كلاما ، وأقلهم سقطا وأجودهم مقاطعا وأحسنهم مطالعا، وظف المعري هذا الرمز ليدل به على العلم الغزير والفقه الذي اضطلع فيه هذا الإمام فكان عالما مجيدا في مذهب أبي حنيفة النعمان كما كان النابغة شاعرا مجيدا عند أبي قابوس النعمان وهو القائل فيه من بحر الطويل:

فإنك شمس والـــــملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[2]

فكأننا بالمعري من خلف هذا الرمز يشيد بمذهب أبي حنيفة النعمان ويرى في علمه الشمس الساطعة . وفي قصيدته التي يرثي فيها أمه والموسومة بالعنوان "سألت متى

---

[1] ـ المصدر السابف ص 9

[2] ـ زياد بن معاوية (النابغة الذبياني) ،الديوان، شي وتع حنا نصر الحتي ،نشر دار الكتاب العربي،بيروت ،ط1 ، 1411هـ -1991م

ص25

اللقاء " كغيره من الشعراء في تـأبين أمـواتهم يثـني على أمه الراحـلة ويعدد مـناقبها فيستحضر رمز الخنسـاء الشاعرة التي حزنت على أخيـها صخرا وحزنت عليه وبكته شديـدا، ويسقط هذا الرمـز على أمه وقد كـانت من أهـل الـعلم والأدب و التي تعـلم على يديـها وقد فقدت أخـاها فبكته كثيرا كمثل الخنساء ورثته بشعر كشعر ليلى الأخيلية التي عرفت بفصاحة شعرها وشهد لها الشعراء بالفحولة كالفرزدق وأبو نواس وابو تمام والمعري الذي يرى شعرها حسن ظاهره وهي التي عرفت بالإبداع في المدح والرثاء، وأما مقصده من الشطر الثاني من البيت "وباطنه عويص أبي حزام"، هذا الشاعر الذي عرف بغموض شعره إشارة إلى شعر المعري نفسه و الذي رمز له بباطنه دلالة على ابن بطنها الذي يمتاز شعره بالغموض والعوص [1] قال:

أشـاعت قيلها وبكت أخاها فأضحت وهي خنساء الحمام

شجتك بظـاهر كقريض ليلى وبـاطنه عويص أبي حزام [2]

هو البطن الذي تنزل عليه أحزان أمه، فهاهي بعد فقدها أخيها تعاودها يد الردى فتأخذ منها زوجها، الذي أراد الشاعر أن يقاسمها حزنها عليه ويعزيها فيه، قال:

ولا يشوي حساب الدهر ورد له ورد من الدم كالمدام[3]

إختطف الردى أباه وهو لايزال صغيرا قال:

وقد وطىء المحـصى ببني بدور صغـار ما قربن من التمام

---

[1] ـ ابو العلاء المعري دبوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 40

[2] ـ المصدر نفسه

[3] ـ المصدر نفسه ص 41

أمحتذي الأهـــلة في غير زهو سلبت من الحلي شهور عام [1]

إن موت أمه استشعره بفقد الحنان والأنيس والضعف والوحدة وربما هنا فقط شعر بحقيقة اليتم وهو كهل ومن هنا لزم قميص الحزن الطويل كمثل درع أحيحة بن جلاح الأوسي الذي من أجلها اشتعلت حرب بين أوس وذبيان[2] قال :

مضت وقد إكتهلت فخلت أني رضيع مابلغت مدى الفطام [3]

كدرع أحيحة الأوسي طالت عليه فهي تسحب في الرغام

نسيب معاشرولدت عليهم دروعهم فصـــــارت كاللزام

كدعوى مسلم ليزيد حمل الـ ـسوابغ في التغاور والسلام[4]

يشبه هذه الدروع على الفرسان من ملازمتهم لها كأنها لا تنزع أبدا وقد ولدوا بها كما ادعى مسلم بن الوليد ليزيد بن مزيد أنه لا يضعها في الحرب أو في السلم مثله مثل المعري الذي لزم الأحزان ولن تفارقه .

وفي قصيدته التي مطلعها "عللاني فإن بعض الأماني فنيت وليس الظلام بفان " يستحضر رمز امرئ القيس رائد فحول الشعر ليثني به على ممدوحه الشريف أبي إبراهيم موسى بن إسحاق الذي دافع عنه لدى معز الدولة عندما رماه البعض بالكفر حتى كاد أن يقتل إلا أن أبا العلاء لم يتقدم بشكر الشريف أبا إبراهيم فأرسل إليه هذا الأخير قصيدة يعاتبه فيها عتابا على تأخر شكره والتي مطلعها "غير مستحسن وصال

[1] ـ المصدر نفسه

[2] ـ المصدر نفسه ص 42

[3] ـ المصدر نفسه ص 39

[4] ـ المصدر نفسه ص 42

الغواني " ما جعل المعري يثني عليه ويمدحه بقصيدة يتواضع فيها أمام شعر الشريف أبي إبراهيم تواضع الحصى أمام المرجان يكن له فيها بالسبق والامتنان قال:

قد أجبنا قول الشـــريف بقول وأثبنا الحصى عن المرجـــــــان

أطربتنا ألفاظه طرب الـــــــــ ـعشاق للمسمعات بالألـــــحان

أيها الدر إنما فضت من بحـــ ـر مخلى الطريق للجـــــــريان

ما امرؤ القيس بالمصلي إذا جا راه في الشعر بل سكيت الرهان

فاقنع بالروي والوزن مـــــني فهمومـــــــي ثقيـــلة الأوزان[1]

كان المعري أحد الواقفين مع امرئ القيس بسقط اللوى، غير أن وقفته كانت دعوة للإعتبار بمن مضوا في هذه الحياة ؛وهم أول من كانوا يدعون للاعتبار بالماضين قال:

مضى الواقف الكندي والسقط غابر وصاحت ديار الحي أين لبيد

تولى ابن حـــجر لا يعود لشانـــه وطالت ليال والعالم بيـــــــد[2]

كثيرا ما ينغمس الإنسان في الشهوات حتى الغفلة، إلا أن الله تعالى يبتليه بالخير والشر فتنة ويهيء الأسباب لمن أراد الأوبة، وقد وجد المعري ظالته في أبي العتاهية الذي انغمس في اللهو والمجون حيث ورد في السير أنه كانت للخليفة المهدي جارية تدعى عتبه، أحبها أبو العتاهية حبا شديدا وتغزل بها ولكنها رفضته لشكله الذميم، مما ولد في نفسه جرحا عميقا، ورجع عن حياة اللهو والمجون إلى الورع والزهد في

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص98

[2] – ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 233

هذه الحياة الفانية وله فيها قصائد عرفت بالزهديات وقد اقترن ذكره بذكر شيخ الزهاد سفيان الثوري لما لاقاه هذان الرمزان من سجن ومطاردة من قبل الخليفة المهدي من أجل زهدهم في الحياة قال أبو العلاء المعري :

الله ينقل من شـــــا ء رتبة بعد رتبـــة

أبدى العتاهي نسكا وتاب من ذكر عتبه

والخوف ألزم سفيا ن أن يغرق كتبـــه[1]

وأبو العلاء ما ساق هذا الرمز من فراغ ولكنه ينطبق على ذمامة وجهه وشكله الذي حال دون حظه من النساء وحظه من الدنيا ككل والزهد فيها والدعوة الى ذلك للنجاة في الآخرة .

يحث أبو العلاء الناس على الزهد في الدنيا بإلحاح من خلال تكرار هذا المقصد في العديد من أبيات لزومياته بصفته منجاة للمرء في الآخرة، ومهما يطلب الإنسان من الدنيا ويعمر فيها، فلن يجد راحته إلا في الموت إذا زهد في الحياة، ويلتمس من رمز (أبو سعد). زيد مناة بن تميم الذي عمر طويلا حتى أخذ يستعين على المشي بالعصا التي اصبحت مضرب المثل عند العرب للذي هرم وحمل العصا" أخذ رمح أبي سعد وسلاح أبي زيد "[2] وفي ذلك يقول :

يا سعد إن أبا سعد لحادثه أمسى الحمام عنده يسمى فرجا

وأسعد الناس بالـدنيا أخو زهد نافى بنيها ونادوا إذ مضى درجا[3]

---

[1]. ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج1 مصدر سلق ذكره ص 160

2. ـ ابوالعلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص197

[3]. المصدر السابق

وفي رثائه لأبي ابراهيم العلوي يثني عليه بأنه كان أميرا للشعر والنثر و صاحب ورع ونسك وفداء حيث رمز له بالنبي ابراهيم عليه السلام كما أنه عليم بالعروض واللغة ورمز له بالخليل الفراهيدي في قوله :

فهذا وقد كان الشريف أبوهم أمير المعاني فارس النثر والنظم

إذا قيل نسك فالخليل بن آزر وإن قيل فهم فالخليل أبو الفهم [1]

يشيد المعري بالمكانة العالية التي نصبها لنفسه دون العالمين في قصيدته التي مطلعها:" أمن فوق البدر يوضع لي مهاد" فيرقى مقامه في نظره على مقام زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني ومن هما؟ إذ لا يخفي شمسهما سحاب، ويرى أنه قدير بتاليف المعاني ما لم يقدر عليه الفحلين المذكورين وذلك في قوله :

تذود علاك شراد المعاني الي فمن زهير او زياد[2] ؟

ما ينفك المعري أن يتحرر من قيود المتناقضات؛ إذ يقدم للبيت السابق نقيضا؛ ظاهره التواضع ولكن باطنه يزيده رفعة وسموا وفراسة بالقوافي ويعتذر لممدوحه على تقصيره في إصابة المعنى الملائم لأنه ما ألم بالشعر إلا كما يلم طير الماء بالحب وفيه مقابلة بين ما أنتجه من الشعر وهذا الرمز لقوله :

لا يوهمنك أن الشعر لي خلق وإنني بالقوافي دائم الأنس

فإنما كان إلمامي بساحتها في الدهر إلمام طير الماء بالعلس

[1]– ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 22

[2] – المصدر نفسه ص 84

عساك تعذر إن قصرت في مدحي فإن مثلي بهجران القريض عس [1]

حسبك أبا العلاء أن تجرد نفسك من شرف الشعر وأنت القائل في مدح أبي حامد الإسفراييني في قصيدتك التي مطلعها:"لا وضع للرحل إلا بعد إيضاع" ما قاله المسيب للقعقاع التميمي في قوله:

" لأهدين مع الـــــــــرياح قصيدة مـــني مغلـــغلة إلى القـــــعقاع[2] "

حيث أراد أبو العلاء أن يقول أن ليس له ما يهديه لممدوحه إلا الشعر قال:

ولا هدية عنـــــدي غير ما حملت عن المـــــــــــسيب أرواح لقعقاع[3]

شغل المتنبي الشخصية البطلة في ديوان المعري سقط الزند حتى لا تكاد تفتقد بصمته" إذ نراه ينظم على طريقة المتنبي، فهو: (يعتد بالغريب والشاذ في التراكيب، كما يعتد بالتصنيع لألفاظ الثقافات المختلفة والتغني بالفيافي والحكم والأمثال والفخر بنفسه...)[4] أو توظيف بعض الأبيات على سبيل التناص أو السرق كمثل قوله :

والعظيم العظيـــم يكبر في عينيـ ـيه منها، قدر الصغير الصغير[5]

والذي أخذه من قول المتنبي :

---

[1] ـ المصدر نفسه ص 124

[2] ـ المسيب بن علس ، الديوان ، جمع وتح عبد الرحمان محمد الوصيفي ،نشر مكتبة الآداب ،القاهرة ، ط1 ،1423هـ- 2003م ص98

[3] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 132

[4] ـ شوقي ضيق الفن ومذاهبه في الشعر العربي مرجع سبق ذكره ص381

[5] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 72

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم[1]

[1] ـ ابو الطيب احمد بن الحسين الماتبي الدبوان ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1403هـ – 1983م ص 385

هـ. الرموز التاريخية

التاريخ خزانة الإنسانية ،و بالتاريخ تعرف الأمم جذورها وأصولها ،فتبني عليه أسس إمتدادها لما فيه من أيام وعبر يقول الله عز وجل:"﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1]".

وقال أيضا :"﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [2] ".

وقال أيضا :"﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾" [3].

إن النصوص الشعرية الخالدة هي واحدة من المقومات الأساس لنقش أمجاد الأمم التي أسسها أصحابها بالصور الدالة على انتمائهم وجذورهم وتراثهم .

فالشخصيات التاريخية والأحداث الماضية لم تكن ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، بل هي قابلة للتجديد وإبقاء أقباس نيرانها ما دام هناك من ينفخ فيها حتى لا تنطفئ شعلتها وتكون رمادا تذروه الرياح، وشاعرنا المعري واحد من اولئك الذين تعهدوا التاريخ بالرعاية فكانت لهم البصمة في استدعاء بعض الرموز التاريخية في أشعاره نذكر منها قوله :

---

[1] ـ سورة العنكبوت الأية 20

[2] ـ سورة يوسف الأية 3

[3] ـ سورة العنكبوت الأية 20

طلبت يقينا من جهينة عنهم ولن تخبريني يا جهين سوى الظن[1]

ساق المعري من المثل القائل "وعند جهينة الخبر اليقين " يتساءل عن حقيقة الأموات والديار الجديدة التي سكنوها فإنه لن يغنيه أحد بالإجابة .

مجد العرب صفاتهم ومكارم أخلاقهم في أشعارهم كثيرا، فهذا حاتم الطائي مضرب المثل في الكرم والجود وذاك عنترة العبسي يقري الجائع ويتعفف عند المغنم وكذلك الشنفرى وعروة ابن الورد وذاك الحطيئة الذي يختصر هذه الصفة في الصورة الآتية :

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل بتيهاء لم يعرف بها ساكن رسما[2]

والمعري ينتقي أفضل صورة للكرم عند العربي وهي إيثار الغير على النفس وإن هلك دونه حيث يستحضر حادثة لشخصية لم ينقطع ذكرها إلى حد الساعة، ما جاء في قوله:

ورد القوم بـــــــعدما مات كعب وارتـــــــــوى بالنمير وفد ظماء[3]

اراد بكعب بن أمامة الإيادي وكان من أجواد العرب فخرج في بعض أسفاره ومعه رجل من النمر بن قاسط فقل ماكان معهما من الماء فتناصفاه فكان النمري يشرب نصيبه وإذا أخذ كعب نصيبه، قال له اسق أخاك النمري فيؤثره على نفسه حتى هلك[4] .

---

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 15

[2] ـ جرول بن أوس بن مالك (الحطيئة) ،الديوان،رواية وشرح ابن السكيت ،دراسة مفيد محمد قميحة ، نشر دار الكتب العلمية ،بيروت

لبنان ، ط1 ،1413هـ -1993م ، ص 178

[3] ـ ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 48

[4] ـ المصدر نفسه ص70

وقد رمز المعري بهذا الرمز على صفة التراحم والإيثار عند العرب ويرد على من يصفهم بأنهم لؤماء لقوله:

وغضـــــــــبنا من قـول زاعم حق أننا في أصـــــــولنا لؤماء[1]

ولا يزال يشيد بالكرم عند العرب بأنهم في الليل يوقدون النار في المكان المرتفع ليهتدي إليهم السيارة وينزلون عندهم وذلك في قوله :

الموقـــــــــدون بنجد نار بـادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر[2]

و قال أيضا :

ولاحت لـــــــها ناريشب وقودها لأضيـــــــافه في كل غور وفدفد[3]

ويرمز لشدة كرم العربي أنه يقدم لضيفه أغلى ما يملكه، حتى إذا ما نزل به ضيف ولم تكن الإبل في مراحها قاموا بذبح جيادهم وهذا ما نجده في قوله:

إذا نزل الضـــــيوف ولم يريحوا كـــرام ســـوامهم عـقروا الجياد[4]

وخير ماتفتخر به العرب تلك الرموز التي أعانتها على صناعة أمجادها وبطولاتها وهي الجياد التي قال فيها :

وأربـــــاب الجـــــياد بنو علي مزيـــــــــــروها الذوابل والصفيحا

---

[1] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج1 مصدر سبق ذكره ص70)

[2] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص59

[3] ـ المصدر نفسه ص 92)

[4] ـ المصدر نفسه ص 200

وخير الخـــــــيل ماركبوا فجنب غرابا والنعـــــــامة والجموحـا[1]

المعري واسع الإحاطة بأيام العرب وأمثالها، وهي مرجعيته في صياغة رموزه، إذ كان يوم حليمة مضرب المثل العربي القائل:" مايوم حليمة بسر"، فجعل من هذا الرمز دلالة على سفاهة الحيلم العاقل ووقوعه وجرأته على ارتكاب الخطإ؛ وقد ساق هذا الرمز إلى من يريد النصح أن لاينافق منصوحه ولا يكتمه عور فيه والإنسان بطبعه لا يريد من يذكره بعيوبه قال في ذلك :

سمعـــــــي مـــــوقى سالم فقل الـــــصواب ولا تـــــصح

من قـــــبل يوم حـــــــليمة حلـــــــم الأديـــــــم فلا يصح

والمـــــرء فـــــي تـــــــركيب غـــــضب يـــهيج إذا نصـــــح[2]

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 76.

[2] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج1 مصدر سبق ذكره ص 371

و. الرموز الدينية

الدين والمعتقدات فطرة جبل عليها البشر منذ أن وجدوا، غير أنهم لم يلتزموا شريعة الله التي ارتضاها لهم وبعث بها إليهم رسلا منهم ،فحادوا عنها ووضعوا معتقدات وشرائع توافق أهواءهم، كمثل اليونان والإغريق الذين أوعزوا نشاة الكون و ظواهر الطبيعة إلى بعض الأوثان من النجوم والكواكب والجبال وبعض البشر الذين ألحقوا بهم التحكم في بعض الخوارق باعتبارهم آلهة و أنصاف آلهه، ويرجع ذلك إلى بعض رجال الدين من الرهبان والقساوسة الذين حرفوا الكتب السماوية ليسيطروا على عقول الناس وأموالهم، ومن البشر من ادعى الألوهية على الناس ليعبدوه؛ وهكذا سرت سنة الأولين.

ويرجع الفضل للشعراء والأدباء الذين رددوا صدى هذه الطقوس في أشعارهم وقصصهم كأمثال أشعار هوميروس التي تغنى فيها بأمجاد اليونان وبطولاتهم، وشاعرنا المعري شديد الشبه بهوميروس في توظيف الرموز الدينية في أشعاره، وقد ساعده في ذلك ما وجده في القرآن الكريم من قصص وعبر وشخصيات دينية علاوة على ثقافته واطلاعه الواسع على الثقافات الأجنبية .

استوحى من قصص القرآن الكريم قصة جرت مع سيدنا سليمان والتي نصت عليها الأية الكريمة: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾[1] " ، لما فيها من مشابهة بين حزن سيدنا سليمان على صلاة العصرالتي فاتته عند غفلته وانشغاله بالجياد وندمه الذي أصبح لا يجدي نفعا، وبين حزن الشاعر على فقيده الذي يرثيه في قوله :

أسف غير نافع واجتهـــــــاد لا يؤدي ألى غناء اجتهاد

[1] ـ سورة ص الأية33

طالما أخرج الحزين جوى الحز ن إلى غير لائق بالسـداد

مثلما فاتت الصلاة سليمـــا ن فانحنى على رقاب الجياد[1]

وفي رثائـه لأبـي إبراهيم العلوي الـذي جمـع يعدد مناقبـه التـي يراها لـم تـف حقـه فمثلـه بسيدنا إبراهيم الخليل في الورع والنسك والذي امتثل إلى أمر ربـه فـي تضحيته بـأغلى شـيء فكـان مثلـه فـي التضحيات كمثل الخليل إبراهيم عليـه السلام الـذي مجدتـه كل الأديـان فكـان المثل فـي الإيمـان والطاعـة لله عز وجل عنـد المسيحيين كمـا يعنـي اسم إقراهام عند اليهود الأب الرفيع والمكرم فقال فيه:

إذا قيل نســـــــك فالخليل بن آزر وإن قيل فهم فالخليل أخو الفهم[2]

كمـا عـالج الشـاعر الفيلسوف فـي شعره بعض القضـايا الإنسـانية كـالخير والشر؛ هذا الأخير الـذي يراه كأنـه طبـع فـي البشرية منـذ شرارة الشر الأولـى علـى وجـه الأرض مـا ذكره القرآن الكريم فـي قصصـه حـول ابنـي أدم هابيل وقابيل والتـي كانـت امتدادا للشر الذي سرى على الارض مما استوجب تطهيرها من قبل الله تعالى وتنقيتها فأرسل عليها الطوفـان والطيـر الأبابيـل وهـذا مـا صـاغ منـه المعري تمثـيلا للنفـوس الباغيـة المولعـة بالشر، يذكرها بعقوبة الله سبحانـه وتعالى في هذه الأبيات :

مضى الزمان ونفس الحي مولعة بالشر من قبل هابيلا وقابيل

هل تنظرون سوى الطوفان يهلككم كما يقال أو الطير الأبابيـل[3]

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 10

[2] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 22.

[3] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج3 مصدر سبق ذكره ص 18

لم يتردد ذكر النبي موسى في أشعار المعري إعتـــــــباطا، بل إشـــارة إلى ورود ذكره كثـيرا فـي القرآن الكريم وقصصه مع أمتـه المعانـدة، وصاغ منها من كل مقام مقال كمثل قصته في مدين مع بنت شعيب عليه السلام التي قال فيها عز وجل:﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [1]"، فقد أثنى على أحد أمراء حلـــب آنذاك يهنـئه بـــــزواجه ويعـــــلي مـــــن مـــناقبه ومنـــاقب عروســـــــه التـي جعـــــل ابنـــة شعـــيب لـــــها رمـــــــزا فـي العفـــــــــة والشـــــــرف الرفيـــــع الغني

وأثنى على كمـــــــال أخلاقها و جمالها الذي أشع في القصر ، فأفل بضحاه جمال الإيماء والجواري وأخرج الغلمان من القصر من شدة غيرة الأمير قال في ذلك :

كنت موسى وافتك بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

لم يكن قصرك المنيف إلا ليستنـ ـزل إلا أعلى بنات القصور

رحلت من فنائه شهب الغلـــ ـمان خوفا من ضوء فجر منير

كان كالأفق همت به الشمـ ـس تنادت نجومه بالمسيـــر [2]

و قال أيضا:

لعبت بسحرنا والشعر سحر فتبنا منه تويتتنا النصوحا

ولو صح التناسخ كنت موسى وكان أبوك إسحاق الذبيحا

[1]– سورة القصص الأية 25

[2] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 71

ويوشع رد يوحى بعض يوم وأنت متى سفرت رددت يوحى[1]

إن المتأمل في مقصد المعري يكتشف أنه سلاح ذو حدين، ظاهره فيه مدح وثناء على ممدوحه أبي إبراهيم موسى بن إسحاق لما فيه من صفات موسى النبي وتوافق في الأسماء والنسب وأما باطنه فيكذب زعم اليهود في قضية التناسخ التي يزعمونها وقضية إسحاق هو النبي الذبيح وليس إسماعيل، الشاهد في ذلك أنه وظف إسحاق رمزا لأب اليهود الأول وموسى النبي الذي أرسل إليهم، وفي البيت الأخير يشيد ببطولات ممدوحه وضرب له بيوشع بن نون الذي تولى نبوة بني إسرائيل وقيادتهم بعد وفاة موسى عليه السلام في فتح مدينة الجبابرة ـ أريحا ـ التي كابد في فتحها حتى خاف أن يدركه الليل فلا يطيق فتحها فدعا الله عز وجل فحبس له الشمس . يوحا ـ ذلك مضرب مثله ودلالة رمزه في هذه الأبيات، إن ممدوحه متى أراد يحبس له الله

الشمس لأنه يراه على الحق المبين ، وقد استوحى المعري فكرته من قوله صلى الله عليه وسلم:" ان الشمس لم تحبس لبشر إلا ليشع ليالي سار إلى بيت المقدس[2] **"**

وخير مايرصع به المعري أشعاره الثناء على أهل البيت قال:

وعلى الدهر من دماء الشهيديـ ـن علي ونجله شـــــــاهدان

فهما في أوار الليل فجـــــــرا ن وفي أونياته شفـــــــــقان

ثبتا في قميصه ليجيء الحشـ ـر مستعديا إلى الرحـــــمان

يا ابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الجموع من غطـــــفان

[1] ـ المصدر نفسه ص 79

[2] ـ الحافظ بن كثير البداية والنهاية مصدر سبق ذكره ج1 ص 301.

أحد الخمسة الذين هم الأغـــ ـراض في كل منطق والمعـــاني

والشـــــــــخوص التي خلقن ضياء قبل خلق المريخ والميزان[1]

فهاهو قبل أن يبادر في الثناء على ممدوحه الشريف أبا إبراهيم يغوص أولا في ذكر نسبه الشريف الرفيع لآل البيت حتى أنه يجعل من توافق الأسماء- أبا إبراهيم ـ دلالة على توافق الصفات والمناقب قال:

أنت كالشمس في الضياء وإن جـا وزت كيوان في علو المكان

وافق اسم ابن أحمد اسم رســـ ـول الله لما توافق الغرضان[2]

إن ما تطرق إليه المعري من رموز دينية لأبلغ دليل على براءته مما نسب إليه من طعن في عقيدته، بين الإلحاد والزندقة لا لشيء إلا بسبب منهجه الذي يعتمد فيه على المنطق والعقل الذي يراه كفيلا بهداية الإنسان إلى معرفة خالقه، كما كان في بعض هذه الرموز ردا على اليهود والنصارى في بعض الشبهات والاعتقادات .

[1]ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص 96

[2]ـ المصدر نفسه ص 97لسقط 97

2. الرموز الخاصة

أ. رمزية الحزن

توالت بواعث الحزن على المعري حتى نقشت في نفسيته آثارا انعكس صداها في تجارب شعرية صادقة ترسم لوحات من الألم والأسى وتجسد صورة المعاناة ومكابدة العيش بمرارة وقسوة، إذ ليس من شيء أقسى على الإنسان أن يشعر بصدود الناس عنه لمرض الجذري الذي ألم به وما ينفك يرجى برءه حتى يتطور هذا المرض فيفقده ضوء عينيه لتتفتح زهرة حياته في ليل مظلم بائس، و ما تكاد تتفتح أكمام زهرة شبابه حتى تزيد الحياة عليه قسوتها فيأخذ الموت أباه حصنه الذي يدفع عنه؛ والذي يبكيه في قوله :

إن كان أصبح من أهواه مطرحا ببابِ حمص فما حزني بمطرح

لو بان أسير ما أخفيه من جزع لمات أكثر أعدائي من الفـرح[1]

لم تفتت هذه الخطوب عزيمة المعري ولم توهن عظمه إذ وجد في العلم والإرتحال إليه ما يسليه ويزهده في ما ذهب، لتعاوده الهموم من جديد وكأنها تترصده أو خلق لها ، فتزيد محنته في فقده ماله في ديار الغربة ويساق إليه النبا العظيم عن أمه التي لحقت بالراحلين دون عودة والتي كانت عوانه وسنده، التي عبر عنها بأقصى آيات الحزن البليغة إذ يتخيل نفسه يعود به الزمن طفلا رضيعا ما أمس حاجته إلى صدر أمه الذي يغذيه حنانا ولبنا ودفئا فيطمئن نائما مرتاحا قال :

مضت وقد إكتهلت فخلت أني رضيـــــــع ما بلغت مدى الفطام

[1] ـ احمد تيمور باشا ، ابو العلاء المعري ، مرجع سبق ذكره ص 16

وبعدك لا يهوى الفؤاد مسرة وإن خاف في وصل السرور فلا يهنى[1]

ليجد نفسه وحيدا مخذولا ضعيف السند تتدافعه مكائد الحساد و وشاياتهم به إلى الحكام وتقويله ما لم يقله ويقذفونه بالملوق والإلحاد؛ فأمام هذه الخطوب التي اجتمعت عليه والتي تذيب قوة الجبال وجلد الرجال، انهارت عزيمته في طلب الدنيا فلزم سجنيه وعهدها بالزهد فيها الا ما يسد رمقه .

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان سقط الزند مصدر سبق ذكره ص18.

ب.رمزية التشاؤم:

إن نظرة التشاؤم التي لزمها المعري كانت ردة فعل وانعكاسا طبيعيا لبواعث نفسية واجتماعية يعزى أولها إلى حالة اليأس الذي قطع عنه طريق الأمل في ما أصابه من محن وهموم، فهذا مرض الجدري والعمى لا يرجى برءهما وذاك الموت الذي أخذ أباه وخاله وأمه إلى دون رجعة، والسبب الثاني نظرة الإحباط التي مني بها من سلوكات الناس وما ينطوي فيها من شر وحسد ونفاق، ما لخصه طه حسين في قوله: إن أسباب تشاؤم أبي العلاء ترجع إلى العجز عن تذوق الحياة والقصور عن الشعور بجمالها وبهجتها، ثم سوء الظن عنده يقول:(إن الناس بالقياس إليه مجهولون، أو كالمجهولين، يسمع أصواتهم ولا يراهم ويحس أعمالهم ولا يراها فيفهم من ذلك ما يستطيع، ويعجزه من ذلك أكثره)[1].

إن اجتماع هذه العناصر كان رانا مسبغا للكآبة والأكدار على نفسيته ما جعله ينقلب على الدنيا وبشرها الذين يراهم شرا خالصا قال:

يحسن مرآى لـــــــــــــبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب

أفـــــــــــــضل أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تـكذب[2]

و قال أيضا :

نمســـــي ونضحي في ضلالاتنا وما على الغبراء إلا سفيـــه

[1] ـ طه حسين ، مع ابي العلاء في سجنه ، دار المعارف القاهرة مصر ، ط 1، 1991 ، ص 9 .

[2] ـ ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات مصدر سبق ذكره ص 86

فنسأل الـــــــــــواحد إنـــــقاذنا من عالم السوء الذي نحن فيه[1]

و قال :

لا تشرفن بدنيا عنك مـــــعرضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف

واصرف فؤادك عنها مثلما انصرفت فكلنا عن مغانيها سننصــرف

يا أم دفر لحاك الله من والـــــدة فيك العناء وفيك الهم والسرف

لو أنك العرس أوقعت الطلاق بــها لكنك الأم مالي عنك منصرف [2]

يعمم المعري صفة الشر على كل بني الدنيا ولا يستثني منها حتى نفسه يقول :

خسست ياأمنا الدنيا فأف لنا بني الخسيسة أوباش أخساء[3]

ويقول أيضا:

إن مازت الناس أخلاقا يعاش بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء

أو كان كل بني حواء يشـــبهنـــي فبئس ما ولدت للناس حواء [4]

وقد نالت حواء من هجاء المعري وسخطه وافر حظها، إشارة الى أنها رمزا للخطيئة الأولى إذ أخرجت أدم من سعادة الجنة وهي التي تتحمل مسؤولية النسل يقول فيها :

والأرض ليس بمرجو طـــهارتها إلا إذا زال عن أفاقها الإنس

---

[1] ـ شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر ، مرجع سبق ذكره ،ص 383

[2] ـ ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج3 مصدر سبق ذكره ص 385.

[3] ـ المصدر نفسه ، ج1 ص 58

[4] ـ المصدر نفسه ، ص 60

تناسلوا فنما شر بـــنسلـــهم وكم فـــجورإذا شبانهم عنسوا

والقوم شر فلا يسررك إن بسطوا لك الوجوه ولا يخزنك إن عبسوا [1]

ثم يأتي ويصنف كل فرق من الـــقوم بما اتصـــفوا فأول مـــا يهـــاجم المـرأة باعتبارها امتدادا لحواء في قضية النسل ويبين ما فيها من صفات ذميمة قال :

ومن صـــفات الـــنساء قدما أم لســـن في الـــود منصفات

ومـــا يـــبين الـــوفـــاء إلا فـــي زمن الفقد والوفـــــاة[2]

و قال فيهن أيضا :

ألا إن النـــــــساء حبال غي بـــــهن يضيع الشرف التليد[3]

ثم يأتي على الوعاظ وأهل الدين وما يرى فيهم من سلوكات منافية للدين قال:

بـــــخيفة الله تـــعبدتنـــا وأنت عين الـــــظالم اللاهي

تأمـــــــرنا بالزهد في هذه الـ ـدنـــــــيا وما همك إلا هـــي[4]

كما نلتمس في بعض أبياته أسباب نفوره من قصور الحكام ومجالسهم فيمدحهم نفاقا على غرار ما يفعل الشعراء، بل الأجدر تعريتهم كمثل قوله :

---

[1] ـ ابو العلاء المعري ديوان اللزوميات ج2 ،مصدر سبق ذكره ص 22

[2] ـ المصدر نفسه ، ج1 ،ص 273.

[3] ـ المصدر نفسه ، ص 427

[4] ـ شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر، مرجع سبق ذكره ،ص384

وأرى ملـــــوكا لا تحوط رعية فعـــــلام تؤخذ جزية ومكوس[1]

و قـــــــــال :

مل المقام فكم أعاشر أمـــــة أمرت بـــــــغير صـــــلاحها أمـــراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصـــــــــالحها وهم أجـــراؤها[2]

لقد كانت لبعض هذه الصفات في الناس كفيلة بشاعرنا أن يعتزلهم ليسلم من أذاهم قائلا:

وجانب الناس تأمن سوء فعلهم وإن تكون لدى الجلاس مـــــــــمقوتا

لا بد أن يذموا كل من صحبوا ولو أراهـــــــم حصى المـــعزاء ياقوتا[3]

فلا غرابة عند الناس حسب المعري بأن يذم الصديق صديقه فإن أعمالهم دائمة السوء مهما حاولوا إظهار العكس وهذا أمر طبع توارثوه عن أسلافهم قال :

شكوت من أهل هذا العصر غدرهم لا تنكرن فعلى هذا مضى السلف

وما اعترافي بعيب الجنس منقصة والـــــعين يعرف في آنافها الذلف[4]

يشيد المعري في بيته الأخير على رجاحة عقله وأنه يزن الأمور ميزان العقل لا بميزان العواطف والشهوات من خلال حكمته التي يرى فيها أن العين الواسعة ترى استقامة

---

[1] ـ المرجع نفسه ،ص 382

[2] ـ المرجع نفسه ، ص 382

[3] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند مرجع سبق ذكره ،

[4] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ، مصدر سبق ذكره ص 391

الأنف رمزا على الشرف الرفيع والأصل المنيف الذي لا يخفى على ناظر وبالتالي فهو يستثني من هجائه أهل الدنيا آل البيت يقول :

وبـــــهم فضل المليك بني حـــــوا ء حتى سمـــــــــوا على الحيوان[1]

أما السبب الثالث في تشاؤم المعري فيعزى إلى المصير الحتمي الذي يصير إليه كل إنسان وهو الموت الذي يقف فيه على حقيقة السراب الذي يجري وراءه قال:

كيف ترجى الســــــعود في زمن يـــــــــــساره راجع الى العدم[2]

و قـــــــــال أيضا :

وكيف أقضـــــــي ساعة بمسرة وأعلم أن الموت من غرمائي[3]

لقد عاش المعري يتجرع غصصا من آلام الحياة وعذابها ونوائبها ولا مستراح من هذا الشقاء إلا الموت حسب ما يراه شاعرنا :

حياتي تعذيـــــــب وموتي راحة وكل ابن أنثى في التراب سجين[4]

لقد رفض المعري كل زينة الحياة لفقده أسباب التمتع بها، وعاش عيشة الكفاف والزهد وفرض على نفسه قيود المختار في أن يكون رهين المحابس في ظلمات ثلاث؛ التي كان فيها كالشمعة التي تضيء على غيرها وهي تحترق، وبقي نوره يشع في كنوز الأدب,

---

[1] ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند، مصدر سبق ذكره ص 97

[2] ـ ابو العلاء المعري ،شرح اللزوميات ج3، مصدر سبق ذكره ، ص 182

[3] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان اللزوميات ، مصدر سبق ذكره ص 54

[4] ـ ابو العلاء المعرس ، شرح اللزوميات ، مصدر سبق ذكره ص 209

ج.رمزية الموت والحياة:

تذمر المعري كثيرا من الحياة التي لم يذق فيها حلوا أبدا، مما دعاه إلى حبس نفسه واعتزال الناس لما يرى فيهم من شر ونفاق وغل وحسد ؛ وشق طريقه مسؤولية الواعظ الناصح للناس يرشدهم لما فيها من غرور وشقاء وعذاب قال:

تعب كـــها الحياة فما أعـ ـجـــــب إلا راغبا في ازدياد[1]

و قـــــال أيضا:

لا أزعـــم الصفو مـــازجا كدرا بل مزعمي أن كله كـــدر [2]

ورغم مافيها من كدر وشقاء إلا أن الناس متشبثون بها برغم تجاربهم فيها فإنه يذكرهم بحقيقة وجودهم في الدنيا قال:

ويأمـــــــــل ساكن الدنيا رباحا وليس الحـــي إلا في خسار [3]

هي العذاب فجـــــدوا في ترحلكم إلى سواها وخلوا الدار إعذابا[4]

فلا نهاية لهذا العذاب والشقاء إلا بالموت التي بها يستريح الإنسان من عناء الدنيا وشقوتها قال :

جسد يعذب في الـــحياة حسبته مستشعرا حسد العظام الهمد

---

[1] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الوند ، مصدر سبق ذكره ص 8

[2] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان اللزوميات ، ج 2، مصدر سبق ذكره ص 128

[3] ـ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 224

[4] ـالمصدر نفسه ص 99

إن الســـــيوف تراح في أغمادها وتظل في تعب إذا لم تغمد[1]

و قال أيضا:

أقمنا في الرحال ونحن سفر كأنا قاعدون على الرحال

أراك الجهل أنك في نعيم وأنت إذا افتكرت بسوء حال

إذا ما كان أثمدنا ترابا فأي الناس يرغب في اكتحال

وما سمحت لنا الدنيا بشيء سوى تعليل نفس بالمحال[2]

غير أن هذا الشقاء والعذاب غير دائم طال الزمان أم قصرعلى الإنسان فإنه صائر إلى الموت والفناء وهذا ما عبر عنه في هذه الأبيات :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجـ ـسم فيها والعيش مثل السهاد[3]

تكرم أوصال الفـــــــتى بعد موته وهن إذا طال الزمان هبـــــاء[4]

ناشد المعري الموت يطلبه للاستراحة من مشاق الحياة، على غرار ما أنشد زهير بن أبي سلمى بقوله:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم[5]

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 283

[2]– ابو العلاء المعري ،شرح اللزوميات ج3 ،مصدر سبق ذكره ، ص 23

[3] – ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ، ص 8

[4] – ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج1 ،مصدر سبق ذكره ، ص 55

[5] – زهير ابن ابي سلمى،الديوان، شرح وتقديم علي حسن فاغور ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1، 1408 هـ - 1988م ص110

قال المعري:

طال الثواء وقد آنى لمفاصلي أن تستبد بـــــــــــها صحراؤها

فترت ولم تفتر لشرب مدامة بل للخطوب يغولها أســـــراؤها[1]

فها هو يرمز للقبر بالصحراء لوجه الشبه بينهما في الوحشة والوحدة، غير أنه تفاقم عليه إحساسه بالعجز الجسدي وقصر منالـه في طلبه الموت ميتة الأبطال على كف الخطوب بشرف متأثرا بقول المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بـــــد فمن العجز ان تكون جبانـــــا[2]

وعلى غراره ينسج المعري قوله :

من السعد في دنياك أن يهلك الفتى لهيجاء يغشى أهلها الطعن والضربا

فإن قبيحا بالمـــــــسود ضجعـــــة على فرشه يشكو إلى النفر الكربـــا[3]

وقد نالت نظوم الشعراء الحيز الوافر في التغني بالموت والموتى في مراثيهم حتى أخذت اتجاها فلسفيا أثار إشكالات حول المصير بعد الموت ؛ قضية الروح والجسد، النشور، ولعله النواة الأولى لهذه القضية أعمال اليونان ونخص بالذكر ملحمة جلجاميش، ولكنه إذا نظرنا إلى الشعر العربي لم نجده يبحث في أسرار الموت وماهيتها لبعده عن الفكر والمنطق إلا بعد مجيء الإسلام ،فقد أجاب القرآن الكريم على كل الأسئلة التي من شأنها أن تتبادر إلى الفكر الإنساني بصور محسوسة كملك الموت الذي وكل بها،

[1] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان اللزوميات ج1 ، مصدر سبق ذكره ، ص54

[2] ـ ابو الطيب المتنبي ، الديوان ، تح. عبد الوهاب عزام ، طبع لجنة التأليف والترجمة ، 1944 م، ص470

[3] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج1 ، مصدر سبق ذكره ، ص 104

البعث، النشور، الحساب، الجنة أوالنار الحياة الخالدة وخصوصا إبان العصر العباسي الذي راجت فيه االمؤثرات االفكرية من فلسفة وكلام وتصوف وصلته بفعل احتكاكه بثقافات مختلفة كالهندية واليونانية والرومانية وفارسية خاصة. وقد هيأت هذه الظروف لشاعرنا المعري علاوة على استعداداته واطلاعه الواسع من أن يخوض في هذه القضية التي يرى فيها أن الموت راحة يستريح فيها الجسم من شقاوة الدنيا وشعور الجسم بالراحة يتطلب حياة وإحساسا، بمعنى أن الإنسان سينتقل إلى دار أخرى هي دار البقاء والحقيقة ،وهذا ما يرمي إليه في البيتين الآتيين :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاذ

إنما ينقلون من دار أعمـ ال إلى دار شقوة أو رشاد[1]

كما يخوض المعري في قضية ثنائية الروح والجسد في قوله :

أشد خطبا يتقى فراق روح لجسد[2]

و قال أيضا:

وأجسامنا مثل الديار لأنفس جوائر منها جاهل وحليم

فإما انهدام قبل رحلة ظاعن وإما رحيل والمحل سليم[3]

لقد كان الموت نقطة تحول حاسمة في حياة المعري، فموت أمه قطع عنه أي بصيص أمل في طعم الحياة فاعتزل أهلها ورغيد عيشها ، كما كان نقطة تحول في بروز

---

[1] . ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ،ص8

[2] . ابو العلاء المعري شرح اللزوميات ج2، مصدر سبق ذكره ص 27

[3] . المصدر السابق ، ج2 ص 87

شخصية المعري في اللزوميات ووضع قناع المتنبي الذي كتم على أنفاسه في كل شظايا زنده.

د. رمزية المرأة

المرأة هي المعادل الموضوعي للحياة باعتبارها امتدادا للنسل و رمزا لاستمرارية الجنس وتواصل الحياة مثلها مثل تربة الأرض التي تشق لتحضن البذور وتتعهد بتغذيتها ورعايتها حتى يصلب عودها ويأتي عليها دورة الإثمار؛ غير أن صورة المرأة أخذت تصورات مختلفة في الفكر الإنساني بين التقديس والإحترام والاستعباد .

لقد حملت بعض الكواكب صورة المرأة رمزا للخصب والتكاثر لدى القدامى فعبدوا الشمس والثريا وبعض النجوم الأخر،كما أهينت المرأة بصفتها جسدا للمتعة والشهوات وجارية تقوم على الخدمة وعارا ينكر بقاؤه فيدس في التراب؛غير أنها عند أهل الألباب قد حظيت بمكانتها الحق في أداء وظائفها المنوطة بها في المجتمع فكانت الأم والزوجة والأخت والبنت والشريكة التي تؤانس الرجل وحشته فحضور رمز المرأة في تراثنا الشعري القديم لا يكاد يدانيه حضور آخر، وهذا جانب موفور في الشعر الجاهلي الذي يستثمر فيه هذا الرمز بدلالات وجودية وكونية ونفسية، ولم يخفت صوت هذا الرمز في الشعر الإسلامي حيث بقي يتصدر مطالع القصائد العربية كمثل الموسومة بمطلعها" بانت سعاد فقلبي اليوم متبول".

لقد تغنى بها الشعراء واشتكوا جفاءها وبكوا بينها وفراق أنسها ، فقصير النظر من يرى ما بين عنترة العبسي وعبلة قصة حب فقط بل إنه باستطاعته أن يتمرد على العشيرة و يأخذها قوة وعنوة علاوة على ما كان في حبهما من توافق ولا يستطيع رده أحد ،لكنه جعل منها معادلا موضوعيا لفرض حريته و يتبوأ مكانته بين الأشراف والأسياد ويعز نسبه الذي أرادوا طمسه. وإذا كان المعري يمثل حلقة مهمة في هذه السلسلة الممتدة في أدبنا العربي فقد كان حضور المرأة في أشعار المعري مكثفا ولم تحد القصيدة العلائية عن ذكر الرموز العربيات أمثال سلمى وليلى وهند وزينب و دعد حتى لا تفقد امتدادها وجذورها التارخية إذ نالت هذه الأسماء حظها الوافر من أشعار العرب وقلوبهم كمثل قول زهير في سلمى :

صَحا القَلبُ عَن سَلمى وَأَقصَرَ باطِلُه وَعُرِّيَ أَفراسُ الصِبا وَرَواحِلُه

وَأَقصَرتُ عَمّا تَعلَمينَ وَسُدِّدَت عَلَيَّ سِوى قَصدِ السَبيلِ مَعادِلُه

وقال العذارى انما انت عمنا وكان الشباب كالخليط تزايله [1]

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

تَعَنّى القَلبَ مِن سَلمى عَناءُ فَـــــما لِلقَلبِ مُذ بانوا شِفاءُ

هُدوءاً ثُمَّ لَأياً ما اِســـــتَقَلّوا لِـــوجهَتِهِم وَقَد تَلَعَ الضـياءُ

وَآذَنَ أَهلُ سَلمى بِارتِحـــــالٍ فمـــا للقلب اذ ظعنوا عـزاء

أُكاتِمُ صاحِبي وَجدي بِسَلمى وَلَيـــــسَ لِوَجدِ مُكتَتِمٍ خَفاءُ [2]

وعليه وبالرغم من موقفه الشخصي المعادي للمرأة، لم يقف ولم يتصد لموقفه كشاعر يحتم عليه ضرورة هذا الرمز في القصيدة كضرورة الملح في الطعام فنجد قوله في رمز سلمى والتي تعني رقة القلب وجمال الروح لقوله:

أبى طـــول البقاء وحب سلمى هلال حين يـــطلع لا يبالي

يمر على الـــــجبال وهن صنم فيعطي الوهن راسية الجبال [3]

وقوله أيضا:

في مقفر تنآه سلـــمى مدلج من بعد طيته ويلـــما دالج [4]

---

[1] ـ زهير ابن ابي سلمى ،الديوان ، مصدر سبق ذكره ، ص88

[2] ـ بشر بن خازم الاسدي، الديوان ، تق وشر مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العربي ،بيروت ، ط1، 1415 هـ -- 1994 م ص19

[3] ـ ابو العلاء المعري ،شرح اللزوميات ،ج3 مرجع سبق ذكره ،ص24

[4] ـ المصدر نفسه ج1 ص 331

كما وظف الرمزين هند وزينب دلالة على الحرب حيث قال:

ودرع حرب عنده كدرع كـــاعب من الود واسم الحرب هند وزينب [1]

فقد جعل حب الدرع لمن أثنى عليه في هذا البيت كـــبديل عن حب الكواعب، إضافة إلى لفظة هند التي تدل على السيوف وتدل على هند بنت عتبة زوج أبي سفيان التي كان لها موقف في الحرب بين المسلمين والكفار ويقول أيضا في السيوف مستثمرا الرمز هند:

نشوف من آل هند بارقا أرجا كأنما فض عن مسك وما ختما [2]

و قال أيضا في هند كأنه يصحح لامرئ القيس ما وقع فيه من خطإ في بكاء الأحجار والرسوم :

حي من أجل أهلهن الديـــار وابك هندا لا النؤي والأحجارا [3]

كما اقترن عنده الرمز هند بالرمز زينب الذي تمثلته عدة شخصيات شاعرات وأديبات في التراث العربي كمثل زينب بنت بشر بن ميمون، وزينب ينت يوسف الثقفي التي تغزل بها النميري في قوله :

تصوغ مسكنا بطن نعمان إن مشت به زينب في نسوة خفران [4]

---

[1] ـ المصدر نفسه ج1 ص 104

[2] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ، ص209

[3] ـ المصدر نفسه ص 207

[4] ـ ابو عبيد الله المرزباني ، معجم الشعراء ، تح فاروق اسليم ،دار صادر بيروت ،ط1، 1425هـ – 2005م ، ص413

وكذلك زينب التي قال فيها الأعشى ميمون في قصيدته الموسومة بالعنوان "ألا أبلغا عني حريثا رسالة "وذلك في هجائه للحارث بن وعلة :

تصابت أم بـــــانت بعقلك زينب وقد جعل الود الذي كان يذهب [1]

وشاقتك أضغان لـــــزينب غدوة تحملن حتى كادت الشمس تغرب [2]

وزينب بنت العوام بن خويلد الأسدية القرشية، شاعرة صحابية، زوجة حكيم بن حرام وأخت الزبير ابن العوام، أدركت الإسلام وقتل ابنها عبد الله في موقعة الجمل فرثته و ذكرت أخاها بأبيات [3]**. ماجعل هذا الرمز شديد الحضور في أشعار المعري دلالة على ثقافته الواسعة وسعة إلمامه بالشخصيات التي تركن بصماتهن على صفحات الدفاتر الأدبية والتاريخية، غير أن المعري في هذا الشأن ينتهج منهج الغموض والتعجيز بتوظيفه لهذه الرموز بغية أن يترك المتلقي يجهد في البحث عن المعنى المراد كمثل قوله :**

وزينب وإن أصابتها المنايا فهند من وسائقها ودعد [4]

كريم أنـــــاب وما أنبـــــا وأنساه طول المدى زينبا [5]

---

[1] ـ ميمون بن قيس (الأعشى الكبير) ،الديوان، شر وتع محمد حسين ، نشر مكتبةالآداب بالجماميزت ، المطبعة النموذجية الإسكندرية ، 1950،ص30

[2] ـ ميمون بن قبس الاعشى الكبير . تح محمد حسين ، نشر مكتبة الجماميزيت ،المطبعة النموذجية ،الاسكندرية 1950 ، ص 201

[3] ـ الحافظ بن حجر العسقلاني ،الاصابة في تمييز نساء الصحابة، تح عادل احمد عبد الموجود واخرون ،ج8 ، دار الكتب العلميةبيروت لبنان ، ط1، 1415هـ – 1995 م ص161

[4] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج1 ، مصدر سبق ذكره ، ص 424

[5] ـ المصدر نفصه ص 161

إن كنت مدعيا مودة زينب فاسكب دموعك يا غمام ونسكب [1]

وأما في لبنى قال:

كم لابن في الأرض لم يذكر لبناه مذ بان ولا دعده [2]

وقوله أيضا :

مثل قيس غداة فارق لبنى عاد يشكو في ما جناه ذريحا [3]

وكأننا بالشاعر في هذا البيت يلح على محب الخمر بهجرها مستحضرا الرمز لبنى التي هجرها قيس دون رغبة منه، بإلحاح من أبيه وملامة الناس وعتابهم له على عدم طاعة أبيه. وأما في أمامة وسعاد قال:

ولقد ذكرتك يا أمامة بعدما نزل الدليل إلى التراب يسوفه [4]

وقال أيضا:

أمامة كيف لي بإمام صدق ودائي مشرقي فمتى معادي ؟

فجافي شرتي ودعي رجائي فإني مثل عاد الناس عادي

كنود جاءنا منها كنود واعيا القوم سعد من سعاد [5]

---

[1] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ، ص 226

[2] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج 1 ،ص 360

[3] ـ المصدر نفسه ج1 ، ص 360

[4] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ، 223

[5] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج2 ، مصدر سبق ذكره ، ص 11

وقوله أيضا:

دعة لمثلك ترك دعد للنوى وسعادة لك هجرة لسعاد [1]

كريم أناب وما أنبـــــــا وأنساه طول المدى زينبا [2]

وأما ذات الأطلال ببرقة (خولة) فقد نزلت عند المعري بتبالة وقال فيها :

النار في طرفي تبالة أنؤر رقدت فأيقضها لخولة معشر [3]

ربما هذه الرموز كانت مقدمات وإشارات لما يضمره من عواطف ومشاعر اتجاه المرأة ينفي بها تهمة العداء لها ، وذلك من خلال الأبيات الأتية التي يصف فيها زيارة طيف محبوبته له التي قال فيها :

وطارقتي أخت الكـــنائن أســـرة وستر ولحظ وابنت الرمي أربع

شموس أتت مثل الأهـلة موهنـــا فقامت تراغي بين حسرى وظلع

والقين لي درا فلما عددتـــــــــه غنى مسخته شقوة الجد أدمعي

وبيضاء ريا الصيف والضيف والبرى بسيطة عذر في الوشاح المجوع

ومرآتها لا يقتضيها جـــمالهـــــا بمرأتها والطبع غير التصنـــع

وقد حبست أمواهها في أديمـــهـــا سنين وشبت نارها تحت برقـع [4]

---

[1] ـ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 21

[2] ـ المصدر نفسه ج1 ، ص 161

[3] ـ ابو العلاء المعري ، ديوان سقط الزند ، مصدر سبق ذكره ، ص 224

[4] ـ المصدر نفسه ، ص 164

وأما موقفه كناقد وفيلسوف في استثمار رمز المرأة فقد تجلى في لزومياته، والتي عبر فيها عن عدة أفكار ورؤى جمعت بين النقيضين كمثل العقم والإنجاب إذ أن أبا العلاء يحبذ العقيم العاقر من النساء على خلاف الرأي العام الذي يحبذ الولود المنجب يقول :

إن شئت يـــــوما وصلة بقرينة فخير نساء العالمين عقيمها [1]

وقال أيضا :

نصحتك لا تنكح إن خفت مأثما فأعرس ولا تنسل في ذلك أحزم [2]

إن المشكلة الأساس التي يحاربها المعري هي عملية النسل التي ينجر عنها آلام الحمل والوضع وتستمر مسيرة العذاب والشقاء من تربية وإنفاق وقلق وخوف من كل مجهول يتهدد هذا الثالث ـ المولود ـ الذي سيتحملان أعباء مسؤوليته يقول :

دنا رجـــــــل الى عرس للأمر وذاك لـــــثالث خلق اكتسابا

فما زالـــــت تعاني الثقل حتى أتاها الوضع واتصل الحساب [3]

وقوله أيضا:

أرى حبلا حادثا في الـــــنساء حـــــــــــبل أذاة بهن اتصل

أتى ولد بـــــــــــسجل العناء فيـــــــا ليت وارده ما وصل [4]

---

[1] ـ ابو العلاء المعري ، شرح اللزوميات ج3 ، مصدر سبق ذكره ، ص 84

[2] ـ المصدرالسابق ج3، ص 71

[3] ـ المصدر نفسه ،ج1، ص 90

[4] ـ المصدر نفسه ج2، ص 262

إن المتقفي هذه القضية في أشعار المعري يدرك مدى إلحاح ورفض الشاعر لعملية الإنجاب وهذا ما يعززه ثناؤه على المرأة العقيم :

قد ساءها العقم . لا ضمت ولا ولدت وذاك خير لها لو أعطيت رشدا [1]

وقوله :

خير النساء اللواتي ما ولدن لكم فإن ولدن فخير النسل ما نفعا [2]

تواصل حبل النسل ما بين أدم وبيني فلم يـــــــــوصل بلامي باء [3]

إن محور هذا الرمز قضية . العقم والإنجاب . يدور حول نظرته التشاؤمية للحياة المليئة بالعناء والشقاء، ولم يصدر هذا الحكم اعتباطا بل ناتج عن تجربة شخصية وتراكمات من القلق حول فكرة الوجود والمصير المجهول.

اهتم المعري بصفته ناقدا و فيلسوفا بعدة قضايا تتصل بموضوع المرأة ، كقضية زواج المسن بالفتاة الشابة حيث وقف الباحثان على عدة أبيات في ثنايا ديوانه اللزوميات ناقش فيها هذا الموضوع رمزا وتصريحا كقوله :

إذا كـــــانت لك امرأة عجـــوز فلا تأخذ بها بـــــدلا كعابا

فإن كـــــانت أقل بهاء وجـــه فأجدر أن تكون أقــل عابا

وحسن الشمس في الأيـــام باق وإن مــجت من الكبر اللعابا [4]

---

[1] . المصدر نفسه ،ج1، ص 287

[2] . المصدر نفسه ج2 ، ص33

[3] . المصدر نفسه ج1 ، ص 47

[4] . المصدر السابق ج1 ،ص 110

فهنا الشاعر عميق التفكير في نصيحته للرجل المسن الذي يسعى لاستبدال زوجته الكبيرة في العمر بكاعب ناهد طلبا للجمال؛ فإن هذا الفارق في العمر سيؤدي إلى فوارق وعدم توافق الأفكار، فهذه الشابة مقبلة على الحياة وبهجتها فستشعر بالظلم بزواجها بالمسن الذي ربما لايستطيع أن يحقق لها ما تريده، لأن فكره مقتصر على أمور معينة في الحياة، مشبعة بالعقل والتجربة، ثم ينصح الفتاة التي تقع في هذا الاختبار بحسن التدبير الذي يراه في هذا البيت :

إذا خطب الزهراء كهل وناشئ فإن الصبا فيها شفيع مشفع

ولا يزهدنها عـــدمه إن مـــده لأبرك من صاع الكبير وأنفع [1]

كما طرق المعري مشكل تعدد الزوجات ، حيث يرفضه رفضا قاطعا ، باعتباره مجلبة للفقر لما ينجر عليه من نسل يطلب الإنفاق عليه إضافة إلى مشاكل الغيرة والبغضاء بين الضرات التي تجعل الرجل في هم وغم قد توقعه في الظلم لأن الطبيعة البشرية قد تميل بالفطرة لواحدة دون الأخرى يقول في ذلك :

وواحـــــــــدة كفتك فلا تجاور إلى أخرى تـــجيء بمـــؤلمات

زجـــــــــاج إن رفقت به وإلا رأيت ضـــروبه متـــــفصمات [2]

وكأننا بالمعري يلج نفسيات النساء ويراها كالزجاج الذي يستدعي رعايته والحفاظ عليه وإلا تهشم ولن يعود إلى طبيعته .

كما يناقش قضية عمل المرأة ، اذ يربأ بالتي تسعى إلى إعانة زوجها، وفي عملها إشغال لفكرها وعقلها ولكن عملها كما يرى المعري مشروط بأن يكون داخل منزلها

[1] المصدر نفسه ج2، ص 19-20

[2] ـ المصدر نفسه ج1 ، ص 96

بمغزلها ونسيجها، حتى لا تختلط بالنساء السوء اللاتي يشتغلن بالعود والغناء وسقاء الخمر حيث نجد الشاعر وليد عصره يحاول أن يحافظ على أصالة أمته العربية الإسلامية وقد امتزجت بالفرس والرومان وما لذلك من تأثير خاصة على المرأة التي تسعى إلى التقليد، وفي ذلك قال:

سقيا لشوهاء ما همت بفاحشة غدت على الغزل ليست تعرف الغزلا

وتجهل العود إلا عود غزلــها ولا تراح إذامـــــا عاتق بـــــزلا [1]

في هذين البيتين بعد فكري عميق الدلالة للمعنى الذي يريده ،فالأخلاق أساس كل شيء ،فهو يفضل المرأة القبيحة العاملة التي لا ترضى بالفاحشة على المرأة الجميلة ذات الأخلاق الذميمة ، لذا فلفظة المغزل ذات بعد قيمي واجتماعي ،مرتبط بصورة المرأة العربية وما يجب أن تكون عليه ،وهذا رمز مهم فالتزامها مغزلها يعني الحفاظ على الأصالة والأخلاق .

دعى المعري في كثير من الأبيات إلى الحفاظ على النسل الحيواني كمثل قوله :

لا أفجـــع الأم بالرضيــع ولا أشـــــــرك هذا الفرير في اللبن [2]

وقوله أيضا :

ولا تفجعن الطير وهي غـــوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح [3]

---

[1] ـ المصدر السابق ج2، ص 182

[2] ـ المصدر نفسه ج3 ، ص 295

[3] ـ المصدر نفسه ج1 ، ص 459

في المقابل نراه يرفض فكرة الزواج بسبب النسل الذي جبل على الحسد والبغض والشر الذي سيطال ويتنكر حتى لأمه التي حملته وأرضعته وحفته ورعته بحنانها ،ويبدو من ظاهر هذا الطرح أنه المعنى المراد، لكن فكرة المعري أشد عمقا ودلالة، لأن في ذلك رمز وإشارة شديدة اللهجة بالدور الذي تقوم به الأم تجاه هذا النسل من تعب وعذاب ومشقة عند الحمل والولادة وما بعدهما، حيث لن تنال سوى العقوق،فلا فائدة ترجى ولا فضل يعود لها، وهذا بيت القصيد الذي أرق الشاعر كثيرا في قضية رفضه للنسل حيث تمكن من رسم لوحة فنية واضحة الدلالة والتعبير من خلال الرمز في الأبيات الأتي بيانها:

أحاضنة الغلام ضممت منه أذاك فارضعي حنشا وضـــمـــــي

فلو وقفت لم تسقي جنينـــــا ولم تضعي الوليد ولم تهمي [1]

وقال أيضا:

وليت وليدا مات ساعة وضعه فلم يرتضع من أمه النفساء

يقول لها من قبل نطق لسانه تفيدين بي أن تنكبي وتسائي [2]

إن هذا النزر اليسير من الطرح حول رأي المعري في المرأة لجدير ببعض الدارسين الذين أسهبوا في حكمهم بعداء المعري للمرأة ان ينظروا للموضوع من كل زواياه وأبعاده، حيث أن ما تم ذكره والوقوف عليه من خلال هذا الطرح من رموز ليؤكد مدى تعاطف المعري مع المرأة ورؤيته حول قضايا اجتماعية محورها المرأة في المجتمع وهذا ما تجسده الأبيات الأتية والتي يبدو فيها كأنه متأسف على الزواج:

[1] ـ المصدر نفسه ج2 ، ص 354-355

[2] ـ المصدر السابق ج1. ص 62

إن لم يكن خلفي كبير يضيعـــه حمامي، ولا طفل،ففيم حياتي

وما العيش إلا علة برؤها الردى فخلي سبيلي أنصرف لطياتي [1]

وقوله مثنيا على المرأة الولود:

إذا كانت لك امرأة حصـــــان فأنـــــت محسد بين الفريــق

وأن جمعت إلى الإحصان عقلا فـــــبورك مثمر الغصن الوريق [2]

لقد جمع ديوان الشاعر الموسوم باللزوميات كل الرؤى التي يراها المعري مقاييسا ينصح المرأة باتباع أحسنها والعدول عن ذميمها في جميع أدوار حياتها كأم، ابنة، أخت وزوجة ينبذ فيها أن تكون راقصة أو مغنية أو ساقية خمر أو مختلطة بالرجال أي ينبذ فيها كل ما من شأنه أن يشين عرضها أو يؤذيها حتى ولو كانت عبادة وجب عليها أن تؤديها في بيتها وما ذاك إلا حرصا وحماية لها وللمجتمع

[1] ـ المصدر نفسه ج2 ، ص 273

[2] ـ المصدر نفسه ج 2 ، ص 106

خـــاتمة

خـــاتمة

لكل بداية نهاية ،في هذه المحطة آن للباحثين أن يحطا الرحال ،ويستعرضا أهم النتائج التي توصلا إليها من خلال هذه الرحلة مع أبي العلاء المعري بحثا عن مدى وأسباب تغليف أشعاره بالرمز.

ـ كشف ديوانـاه "سقط الزند واللزوميات" عن مرحلتين أساسيتين من حياة أبي العلاء المعري حيث مثل سقط الزند حياة الشاعر المتأثر بأعمال المتنبي وأبي تمام حيث جمع فيه أبرز خصائص العمود الشعري، وأما ديوانه الدرعيات فقد جعله النقاد ملحقا لسقط الزند ينظوي على الكثير من الرمز والغموض؛ وأما ديوانه اللزوميات فقد ضم حياة أبي العلاء المفكر، الناقد والفيلسوف؛ إذ يتجه إلى نقد الحياة الاجتماعية، رغم أنه في معزل عن الناس ولم يتمتع بعين مبصرة إلا أن لديه قلبا بصيرا، استطاع من خلاله أن يستعرض عيوب الناس الخفية وينفذ إلى حقيقة بواعثهم ما جعله يطلق عليهم أحكاما قاسية على المجتمع ناجمة عن تجربة رفض من خلالها المجاملة والنفاق ,

ـ عالج المعري عدة قضايا سياسية واجتماعية بأسلوب نقدي فلسفي لاذع وساخر أحيانا فتحت عليه أبواب الاتهام بالعداء لهذه القضايا كمثل قضية الحياة، الزواج والنسل والمرأة التي تحدث عنها بإسهاب خاصة في لزومياته إذ كان رافضا لفكرة الزواج بسبب النسل إشفاقا عليها من آلام الحمل والرضاع والتربية ثم لن يكون جزاؤها إلا العقوق والتنكر ولعل هذا نابع عن شعوره الخاص حيث مني بوفاة أمه وهو بعيد عنها ما جعله يشعر بالقصور في آداء حقها، كما يرى أن أحسن صورة للمرأة تلك المكنونة في بيتها التي تلزم مغزلها، ذات الأخلاق العفيفة التي تحيد عن المخالطة التي لا تسمع عودا ولا تسقي شرابا، في المقابل أن يكشف عن الحقوق الواجب أن تتمتع بها المرأة كعدم مشاركة ضرة لها، توافق السن بينها وشريك حياتها.

ـ رمز المعري في كثير من المواقف، للحياة وللدنيا بالمرأة وذلك بسبب التشابه بينهما وفي تقلباتهما .

ـ واجه المعري من المجتمع مالاقاه كل مبدع في زمانه، في زمن كثرت فيه الفتن، فهؤلاء خلفاء بني العباس يطاردون كل من لم يواليهم، وهؤلاء أنصارهم من أهل العلم الظالين في هواء السلاطين؛ يريدون الريادة والصدارة؛ فيتهمون كل من زاحمهم في ذلك بالمروق والظلال إلى حد التكفير إذ لم يسلم شاعرنا من التكفير والزندقة، لا تزال آثار هذه التهم تلاحقه إلى حد الساعة وما ذلك إلا قصورا في الفكر وإصدار أحكام عامة دون الولوج في أعماق فكر الرجل وإنصافه ، وأن نقول فيه قولة حق":ذاك الرجل لم يعش لنفسه، بل عاش للإنسانية ".

ـ يستمد أبو العلاء تجربته الشعرية من الحياة وبعضها من ثقافته الواسعة المختلفة .

ـ حاول المعري أن يضفي على أشعاره طابعا حسيا يعوض به عاهة العمى وذلك من خلال ذكره لبعض الرموز الحسية مثل الألوان، بعض الظواهر الطبيعية التى تدرك بالمشاهدة كحبال الشمس، السراب، التقاء بعض الكواكب وغيرها وهذا إن دل فإنما يدل على سعة اطلاعه على العلوم وذكائه الخارق وذاكرته وحاسة السمع التي عوضته عن بقية حواسه .

ـ معظم أشعار المعري أصيلة مبتكرة ، مفعمة بالمعين الإشاري الرمزي الخصب النابع عن خياله الواسع وموسوعية ثقافته التي تجلت في بعض الغموض والمشترك اللفظي وخاصة بعض المعاني الغامضة النادرة المبتكرة التي تعمق فيها وأبدع في إخراجها فنيا ما جعلها آية رائعة في دقتها وجمالها تضاهي الإعجاز .

ـ توارى أغلب النقاد المصلحين لمجتمعاتهم خلف أستار الرمز(التقية) خاصة في مجتمعات لم يأمنوا فيها على أنفسهم من بطش السلطان أوتكذيب العامة لهم، إلا أن

أبا العلاء انتهج الرمز من أجل أن يجعل من إنتاجه موسوعات لغوية وأدبية وتاريخية وعلمية بدليل توظيفه لرموز الكواكب والنجوم .

ـ تدل أغلب الرموز الطبيعية والأسطورية على حالة المطاردة والقلق والشعور بحالة عدم الطمأنينة والاستقرار التي تلازم نفسية المعري التي انعكست إلى دوامة من الحزن والتشاؤم ,

وأخيرا مع هذه الدراسة ضمن هذه الرحلة الشيقة بحق مع المعري ، ينصح الباحثان لكل دارس للمعري أن يتوغل جيدا في أعماق فكره وأن ينظر إلى المعنى الباطني الذي يحمله السياق، فإنه ما تقلد الرجل وسام الحكمة والفلسفة إلا عن جدارة ومقدرة .

والله ولـــــــي التوفيـــــــــــق

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المـــــعاجم:

- **جبور عبد النور :المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 1979 م**
- **جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، تح أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي نشر دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ، ط3 ،1419هـ / 1999م**

المـــــــصادر:

- **أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (المعري): ديوان سقط الزند، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت لبنان، 1418هـ/ 1998م.**
- **أبو العلاءأحمد بن عبد الله بن سليمان (المعري): ديوان سقط الزند، دار صادر بيروت، 1376هـ/ 1957م. نسخة إلكترونية (رفع المساهم).**
- **أبو العلاءأحمد بن عبد الله بن سليمان (المعري): ديوان اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الخانجي القاهرة 1342 هـ.**
- **أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (المعري): ديوان شرح اللزوميات، تحقيق سيدة حامد ومنير المدني، زينب القوصي، وفاء الأعصر،إشراف حسين نصار، الهيئة العامة المصرية للكتاب 1581هـ /1992 م**
- **أرسطو طاليس : فن الشعر، ترجمة، عبد الرحمان بدوي ، دار الثقافة بيروت لبنان.**
- **إسماعيل الحافظ بن كثير:البداية والنهاية ج1، مكتبة المعارف بيروت،1410هـ /1990.**

- إسماعيل بن القاسم ابو علي البكري (القالي): الأمالي ،نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م .
- بشار بن برد: الديوان ،(جم،تح) الطاهرر بن عاشور ،نشر وزارة اثقافة الجزائرية 2007م
- بشر بن خازم الأسدي :(تق ، شر) مجيد طراد الناشردار الكماب العربي ط1 ، بيروت 1415هـ /1994م .
- تماضر بنت عمرو (الخنساء) : الديوان،عناية وشرح حمدو طماس، ط2،دار المعرفة بيروت لبنان ،1425هـ /20204 م .
- جرول بن أوس بن مالك (الحطيئة) :الديوان ،رواية وشرح ابن السكيت،دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة ، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط3، 1413 هـ /1993م .
- جميل ابن عبد الله بن معمر (جميل بثينة) : الديوان ، بطرس البستاني ،دار بيروت للطباعة والنشر،1402هـ / 1982 م .
- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :الإصابة في تمييز نساء الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1415هـ /1995 م
- حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) :الديوان ، يحي بن علي الخطيب التبريزي ،تح محمد عبدو عزام ،ط5 ،نشر دار المعارف القاهرة مصر ، 2009 .
- حسان بن ثابت : الديوان ،تح عبد الله سنرة ، دارالمعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ،ط1 ، 1427 هـ /2006 م .
- حندج بن حجر ،(امرئ القيس) : الديوان ،ظبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي ،منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط5 ، 1425هـ / 2004م .
- ابو القاسم جار الله محمود بن عمر(الزمخشري) :أساس البلاغة ، تح محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1998 م .

- بن محمد بن محمود الكوفي :عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان 1421 هـ / 2000 م
- زهير بن أبي سلمى :الديوان ، شرح وتقديم علي فاعور ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1408هـ /1988م .
- زياد بن معاوية (النابغة الذبياني) :الديوان ، شرح وتعليق حنا نصر الحتي ، نشر دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1411هـ / 1991م .
- السيد شكري الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ،شرح محمد بهجة الأثري ط2 المطبعة الرحمانية مصر ،1343 هـ / 1924 م .
- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجازفي علم المعاني ،تح السيد محمد رشيد رضا ،دار المعارف بيروت لبنان ،ط3 ، 2001م .
- أبو عبيد الله المرزباني : معجم الشعراء ، تحقيق فاروق اسليم ،دار صادر بيروت ، ط1 ،1425هـ / 2005م .
- غياث بن غوث (الأخطل) : الديوان ،شرح مهدي محمد ناصر الدين ، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط2 ، 1414 هـ / 1994 م .
- كمال الدين الدميري : حياة الحيوان الكبرى ،تهذيب وتصنبف أسعد الفارس ، دار طلاس للتوزيع والطباعة والنشر 1992م .
- كعب ابن زهير :الديوان،أبي سعيد الحسن العسكري ،نشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط1 ،1414هـ /1996 م .
- المسيب بن علس :الديوان ، جمع وتحقيق عبد الرحمان الوصيفي ، نشر مكتبة الأداب القاهرة ط1 ، 1423 هـ /2003 م .
- معروف الرصافي : الديوان ،مراجعة مصطفى الغلاييني ، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة مصر 2014 هـ .
- ميمون بن قيس (الأعشى الكبير) : الديوان ، شرح وتحقيق محمد حسين ، نشر مكتبة الأداب بالجماميزت ، المطبعة النموذجية الإسكندرية ،1950 م .
- يحي بن علي التبريزي(الخطيب التبريزي) وعبد الله بن محمد التبريزي وقاسم بن حسين الخوارزمي : شروح سقط الزند ،تحقيق مصطفى السقا وعبد الرحيم

محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد ،إشراف طه حسين ،نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1406 هـ / 1986 م .

- يحي بن علي التبريزي(الخطيب التبريزي) : شرح ديوان عنترة ، نشر دار الكتاب العربي بيروت، ط1 ،1413 هـ / 1993 م .

المـــــــراجع:

- أحمد تيمور باشا :أبو العلاء المعري، الناشرمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة مصر 2012 م
- .بهجت عبد الغفور الحديثي : دراسات نقدية في الشعر العربي الحديث ، المكتب الجامعي الإسكندرية مصر 2004 م . نسخة إلكترونية
- تغريد زعيمان: الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، الناشر الدار الثقافية للنشر القاهرة ،ط1، 1423 هـ / 2003 م .
- دريش الجنيدي: الرمزية في الأدب، دار النهضة للطباعة والنشر القاهرة، ط1982،2 .سيد القمني، الأسطورة والتراث، الناشر المركز المصري لبحوث الحضارة (تحت التأسيس) القاهرة، ط3، 1999م .
- شاكر الفحام: نظرات في ديوان بشار بن برد ،مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط2 1983م .
- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الناشر دار المعارف مصر، ط9، 1976م
- طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012م.
- طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر، 2012م .
- عبد الفتاح كيليطو: أبو العلاء المعري أو متاهات القول، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب، ط1، 2000م، جامعة الموصل العراق (المجلد 15 العدد1)، 2018م. نسخة إلكترونية.

- **محمد يعيش: شعرية الخطاب الصوفي، الرمزالخمري عند ابن الفارض انموذجا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي الأردن2004م.**
- **محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.**
- **محمد فتوح أحمد: الرمز والومزية في الشعر المعاصر، دار المعارف مصر، 1977 م .**
- **ياسر الحبيب رضوان: الشمس في شعر المعري، نشر شبكة الألوكة www .alukah.net قسم الكتب، نسخة إلكترونية.**
- **الأطاريح الجامعية والمقالات**
- **جلال عبد الله خلف: الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد 52، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالي، 2011م . نسخة إلكترونية.**
- **حسن عبد عودة حميدي الخاقاني: الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، إشراف علي كاضم أسد، كلية الآداب جامعة الكوفة (مدونة رياض حمزة)،142**
- **سعد عبود سمار: قدسية الثور عند العرب قبل الإسلام ومتماثلاتها في معتقدات الشرق الأدني القديم، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط العدد 35، 2019م . نسخة إلكترونية 7هـ /2006 م . نسخة إلكترونية**
- **يسري إسماعيل إبراهيم ومروة سالم ثيت : الأثر الأسطوري في مراثي أبي العلاء المعري، ديوان سقط الزند أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**

فـــهرس الموضوعات

فـــــــهرس

شكـــــــــــــر ..... ج

إهـــداء..... د

مـــــلخص ..... هـ

مقدمـــــــــــــة:..... ب

خـــــــطة البحث ..... د

الـــــفصل الأول..... 1

تمهيـــــد: 1

1. تعريـــف الرمز:..... 4

أ. تعريفه لغة:..... 4

ب. تعريف الرمز اصطلاحا:..... 4

2. تجليات الرمز في الأدب العربي عبر العصور: 6

أ. الرمز في العصر الجاهلي: 6

ب. الرمز في العصر الإسلامي..... 10

ج. الرمز في العصر الأموي:..... 14

د. الرمز في العصر العباسي: 17

هـ. الرمز في العصر الأندلسي : 19

3. الرمز عند الغرب : 21

4. توظيف أبي العلاء المعري للرمز 26

الـــــفصل الثاني 30

1 . الـــــــــــرموز الـــــعامة 31

أ. الرمز الأسطوري 31

ب. الرموز الصوفية 47

ج. الـــــرموز الطبيعية 57

د. الرموز الأدبية 94

هـ. الرموز التاريخية..... 102

و. الرموز الدينية..... 106

2 . الـــــرموز الـــــــــخاصة 111

أ. رمزية الحزن..... 111

ب. رمزية التشاؤم:..... 113

ج. رمزية الموت والحياة: 118

د. رمزية المرأة 123

خـــاتمة 137

قائمة المصادر والمراجع 141